دكتورة منى حسن أحمد محمود

تاريخ الخيول العربية ودورها في الجهاد ضد الفرنجة والتوسع في أوروبا

قاعدة نربونة ودورها فى الجهاد ضد الفرنجة والتوسع فى أوروبا

١٠٢ - ١٤٩ هـ / ٧٢٠ - ٧٦٦ م

د. منى حسن أحمد محمود

الطبعة الأولى

عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية

EIN FOR HUMAN AND SOCIAL STUDIES

المشرف العام دكتور قاسم عبده قاسم

المستشارون

د . أحمد إبراهيم الهوارى

د . شوقى عبد القوى حبيب

د . قاسم عبده قاسم

مدير النشر: محمد عبد الرحمن عفيفى

تصميم الغلاف : محمد أبوطالب

الناشر : عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية

– ٥ شارع ترعة المريوطية – الهرم – ج.م.ع – تليفون ٣٨٧١٦٩٣

Publisher:ÈIN FOR HUMAN AND SOCIAL STUDIES

, Maryoutia St., Alh 5 aram -A. R. E. Tel : 3871693

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمـــة

الحمدلله حمد يليق بعظمة جلاله وكثرة أفضاله والصلاة والسلام على خاتم رسل الله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم .

أما بعد ..

فهذه صفحات من التاريخ الزاهر للفتوحات الإسلامية العظيمة فى العصر الأموى .. ، فهى أعظم انجازات الأمويين الباقية على الزمن .

وقد شملت هذه الفتوحات مناطق عديدة فى قارات آسيا وأوربا وأفريقية فامتدت دولتهم شرقًا حتى حدود الصين وغربًا إلى الأندلس وجنوب فرنسا .

لذلك آثرت أن أتناول جزءاً من تاريخ هذه الفتوحات بعد وصول العرب إلى جنوب فرنسا لإلقاء الضوء عليها ..

لذا فقد اخترت عنوانًا له هو قاعدة نربونة ودورها فى الجهاد ضد الفرنجة والتوسع فى أوربا .

وقد ألقى هذا البحث فى مؤتمر اتحاد المؤرخين العرب فى ندوة «العرب وأوربا عبر عصور التاريخ » التى عقدت فى ١٦ نوفمبر سنة ١٩٩٩م.

والله اسأل أن يهدينا إلى ما فيه الصواب ، وأن يفيد منه المعنيون بحقل الدراسات الأندلسية وذلك اسهامًا فى خدمة تراثنا الإسلامى الرائع في الأندلس الزاهر.

د. منى حسن محمود

القاهرة ١٩٩٩م

تمهيد

فى تاريخنا الإسلامى العريق موضوعات كثيرة تحتاج إلى الدرس والتوضيح وبذل الكثير من الجهد والعناء ؛ فالمادة موجودة ومتوافرة ولكنها فى حاجة إلى صبر وأناة؛ لضم وثائقها بعضها إلى بعض لتأليف وحدة تاريخية منسجمة واضحة . إن علاقة أمتنا الإسلامية بمن جاورها من الشعوب وعايشتها على طول الخريطة الإسلامية الممتدة العريقة لازالت فى حاجة إلى دراسة فى ضوء مبدأ الإخاء والمساواة الذى أرساه ديننا الحنيف منذ إشراقته الأولى وقد طبقت هذه المبادئ فى جميع الأقاليم المفتوحة طوال عصر الراشدين والعصر الأموى. لذلك تعد هذه الفترة منذ وصول العرب إلى جنوب غاليا والتى امتدت إلى ما يقرب من نصف قرن على قصرها فى غاية الأهمية ففيها وضع الأساس لكثير من المقومات التى قام عليها حكم المسلمين، لأن هذه الفترة كانت أخبارها غامضة إلى أبعد الحدود ولم تلق من المؤرخين العرب عناية كبيرة، فقد عالج العرب الكتابة التاريخية فى وقت متأخر ، فلما كتبوا التاريخ كانت قد بعدت الشقة، وضاعت أغلب معالم الأحداث ولم يكن العرب فى البلاد قد طال بهم المقام إلا خلال هذه السنين القصيرة الحافلة بالمشاكل والمتاعب ، فلم تترك آثاراً ذات بال يمكن الاعتماد عليها للتثبيت من الحقائق التاريخية. أن أحداث الأندلس التى وقعت بين اليمنية والقيسية أو بين العرب والبربر، جعلت المؤرخين لايعطون صورة واضحة للأحداث فى جنوب غاليا لانشغالهم بتدوين أحداث الأندلس،

ولإزالة هذا الغموض عن هذه الفترة التاريخية لجنوب غاليا علينا أن نقارنها بغيرها من عصور الولاة التى مرت بها جميع الأمصار الإسلامية فى أعقاب الفتح .

لهذه الأسباب مجتمعة اخترت موضوع بحثى تحت عنوان «قاعدة نربونة» ودورها فى الجهاد ضد الفرنجة والتوسع فى أوربا (١٠٢-١٤٩هـ / ٧٢٠-٧٦٦م) وفى ضوء التطورات العامة من الناحية السياسية والدينية والاقتصادية سأعرض الموضوعات الآتية بالترتيب :

أ- جغرافية جنوب فرنسا وأثرها على الأحوال السياسية قبيل الفتح العربى.

ب- كيفية تدفق القوات الإسلامية إلى جنوب فرنسا وتأسيس مدينة نربونة والتوسع فى أوربا .

ج- كيف عمل الولاة العرب فى هذه الفترة على تمصير البلاد وتطبيق المثل الإسلامية وتخفيف العبء عن كاهل أهلها .

أ- جغرافية جنوب فرنسا وأثرها على الأحوال السياسية قبيل الفتح العربي :

«أُربُونة : بفتح أوله ويضم ثم السكون وضم الباء الموحدة وبسكون الواو ونو وهاء- بلد في طرف الثغر من أرض الأندلس»(١).

كانت أربونة أو «نربونة» عاصمة لإقليم في جنوب غاليا عرف باسم سبتمانيا أو لانجدوك يقع في أقصى الشمال الشرقي لإسبانيا ، وترجع أهمية هذا الإقليم إلى أنه يمتد في شمال جبال البرنييه بحذاء ساحل فرنسا الجنوبي إلى أن تتصل بما يعرف اليوم بالريفيرا الإيطالية(٢).

وكان جنوب غاليا يتكون من ثلاثة أقاليم هي: أكويتانيا، وسبتمانيا وبروفانس وطبقا للتقسيم الإداري منذ أيام الرومان والقوط كان هذا الجزء تابعًا لإسبانيا، يقول البكري:-

«إن قسطنطين حدّ الأندلس حدوداً ستة، جعل الجزء الأول من حدودها من مدينة نربونة، وهو حد ما بين غاليوش «بلاد الغال» وبين الأندلس وأضاف إليها سبع مدن مما حواليها وهي بطرش وطيلوشة ومقلونة ونومشو وقرقشونة وقد ذكر البكري أيضا أن «الأندلس مثلثة الشكل ولها ثلاثة أركان والركن الثاني هو بشرقي الأندلس بين مدينة نربونة ومدينة برذيل بإزاء جزيرتي ميورقة ومنورقة بمجاورة من البحرين البحر المحيط والبحر الشامي المتوسط »(٣). وكان هذا التقسيم هو السائد منذ أيام الرومان والقوط ، فلما اتسع نطاق الفتوح الإسلامية شمالاً أنشئت ولاية خامسة شمال جبال البرنييه شاملة لأربونة ونيمة وقرقشونة ، وبزييه ، وآجده ، وماجويلون ولوديف ، وكانت جبال البرنييه هي الفاصل

الطبيعي بين شمال أسبانيا وجنوب فرنسا، ويضيف البكري «وبينهما المدخل الذي يعرف بالأبواب وهو المدخل إلى الأندلس من الأرض الكبيرة من بلد إفرنجة ومسافته بين البحرين مسيرة يومين مقابل مدينة برذيل مدينة نربونة من البحر المحيط»(٤).

ويقول الحميري : «إنه لولا هذا الجبل الحاجز بين الأندلس وبلاد الفرنجة العظمى لالتقى البحران ولكانت الأندلس جزيرة منقطعة من البر»(٥). ومن خلال هذه الممرات التي بهذا الجبل كان يعبر منها كل من يريد دخول غاليا أو العكس ، فالممر الأول المؤدي من برشلونة إلى نابرة والذي يمر بمدينة بيربينيان Pirpignon ، والممر الثاني يسمى ممر بويسردا Puycerda الذي يخترق سردانية والثالث المؤدي من بنبلونة إلى سانت جان بيي- دو- بور Saint Jean Pied de Port وأخيراً الممر الرابع الذي يربط طلوزة Toulouse إلى بايون (Bayonnee) (٦).

وكانت الفرق الإسلامية المشتركة في عمليات الفتح إذا خرجت من بلاد الأندلس سلكت أحد طريقين:- في أقصى الشرق أي فيما بين نهاية الجبال وسواحل البحر وهو الطريق التقليدي القديم المؤدي من أوروبا إلى أسبانيا والعكس والذي يمر بمدينة بربنيانه والطريق الثاني الذي اخترقته الجيوش الإسلامية أيضا إلى جنوب فرنسا في ممرات ضيقة على مقربة من الساحل الغربي وهو ساحل خليج بسكاي (٧).

وكان أول إقليم اتجهت إليه الفتوحات الإسلامية إلى جنوب فرنسا هو إقليم سبتمانيا Septimania وهو يقع جنوب شرقي فرنسا الذي يلي جبال ألبرت وهي تعني المقاطعة ذات المدن السبع، وتعرف أيضًا هذه الولاية

باللانجدوك Languedoc ويقال لها القوطية Gotie أيضا- وهذه المدن السبع هي : نربونة Narbone نيم Nieme ، آجد Agde بيزيه Beziers ، لوديف Lodeve ، قرقشونة Carcassonne ماقلونة Maguelone مقاطعة البروفانس La- Provence . حيث تقع شمال شرق سبتمانيا، وهاتان المقاطعتان كانتا من جملة ممتلكات القوط تسكنها قبيلة تسمى القوط الغربيين Wisigotts(٨) وهي قبيلة من القوط الذين كانوا يحتلون جزءاً من لانجدوك والبروفانس ، إلى جانب إقليم أكويتانياصAquitain ويقع في الجزء الجنوبي الغربي لفرنسا وهي تمتد من نهر اللوار حتى البرنيز Les Puranées (٩).

أما عن الوضع السياسي لأرض غاليا أو الأرض الكبيرة(١٠) فكانت بلاداً ممزقة سياسيًا في الفترة التي وصل إليها العرب بعد فتحهم الأندلس، وكانت ممزقة الأطراف بين الشمال المضطرب سياسيًا وملوكها الميروفنجيين الضعاف مع ازدياد سلطة حجاب القصر عليهم، وبين الجنوب المستقل بنجاح بعض الزعماء والأمراء المحليين الذين استطاعوا أن يخرجوا عن سلطة حجاب القصر واستقلوا بما تحت أيديهم مثل مقاطعة أكويتانيا وصاحبها لوبوس ثم ابنه أودو ، ولكي نفهم حقيقة هذه الأوضاع السياسية في غاليا لابد من معرفة أهم التطورات السياسية التي أثرت في تاريخ غرب أوروبا عامة وبالتالي في تاريخ غاليا (١١).

سيطر على التاريخ الأوربي حتى القرن الرابع الميلادي ثلاثة عوامل كبرى وهي الحضارة الهلينية «اليونانية القديمة» والإمبراطورية الرومانية

ثم الديانة المسيحية ثم ظهر عامل رابع غير مجرى التاريخ تغييراً تامًا على مر العصور ذلك هو هجرة القبائل الجرمانية من الشمال عبر البلطيق إلى أراضى الامبراطورية الرومانية فى غرب أوربا واستقرت بها ، وهذه الهجرة لم تكن عملية مفاجئة بل كانت تسربا تدريجيا؛ لأن الحكومة الرومانية لجأت منذ القرن الثانى الميلادى إلى توطين الأسرى من البرابرة فى مختلف الأقاليم وأسكنت أعداداً هائلة من الجرمان والسارماثيين فى الجهات التى خربتها الحروب ولاسيما جهات البلقان الشمالية حيث وجدوا أن مناطق الأطراف الرومانية مأهولة بأناس من جنسهم وألفوا الحضارة الرومانية واصطبغوا بها ، وأيضًا لجأت الإمبراطورية الرومانية منذ حلول الجرمان ببعض أقاليمها إلى تجنيد هؤلاء الجرمان الأكثر عنفا وقوة فى جيوشها واستخدمتهم فى الدفاع عن حدودها على نهر الراين . واستمرت هجرات الجرمان نحو الجنوب والغرب فى اتجاه نهر الدانوب والراين(١٣).

وقد انقسم هؤلاء الجرمان إلى مجموعتين كبيرتين هما: القبائل الجرمانية الغربية وهم الفرنجة والإنجليز والسكسون ، والقبائل الجرمانية الشرقية وهم القوط الشرقيون والغربيون والوندال والبرجنديون واللومبارديون ، ولم يكن بين هذه القبائل اختلافات جوهرية فى اللغة أو العادات ولكن بعد هجرتهم إلى أقاليم الامبراطورية الرومانية فى غرب أوروبا واستقرارهم بها وتعاملهم مع أناس من جنسهم وألفوا الحضارة الرومانية ، اضطرت كل جماعة أن تتوائم حياتها مع البيئة الجديدة التى حلت بها(١٤).

وكان من أهم الأحداث فى تاريخ هذه الغزوات الجرمانية قيام دولة الفرنجة وهى الدولة الجرمانية الوحيدة التى استطاعت البقاء والاستمرار داخل حدود الإمبراطورية، واستطاعت أن تحتل ألمانيا وغاليس بعد أن طردت القوط الذين كانوا قد اجتاحوا شمال إيطاليا منذ القرن الخامس، وحلوا فى جنوبى غاليس وأسبانيا ولكن هذه الممالك القوطية لم تكن تحمل عناصر البقاء والاستقرار لأن هذه الأقاليم كانت تختلف عن مواطنهم الأصلية اختلافًا كبيراً فلم يندمجوا فى هذه المجتمعات الجديدة واستطاع الفرنجة أن يغزوا مناطق غاليا وانتزعوا نصفها الشمالى من يد حاكمها الرومانى المستقل بأمره وانتزعوا نصفها الجنوبى من القوط(١٥).

وقد كونت قبائل الفرنجة فيما بينها حلفًا فى القرن الثالث الميلادى لم يظهر بصورة فعلية إلا عند بداية القرن الخامس الميلادى فى هيئة كتلة متراصة أهم عناصرها: الفرنجة البحريون الذين استقروا بالقرب من البحر فى أراضى الإمبراطورية الرومانية فى بلجيكا وفى حوض الراين الأدنى منذ منتصف القرن الرابع الميلادى ، أما الفرنجة البريون فهم الذين أقاموا على شواطئ النهر أى فى الرقعة التى تقع بين نهرى الراين والميز (١٦) ، ويعتبر كلوفيس المؤسس الحقيقى لدولة الفرنجة(١٧) البحريين أو «الأسرة الميروفنجية» وبظهور هذه الأسرة يتحدد تاريخ غاليا، ومما ساعد على ظهور هذه الأسرة وتألق نجمها هو وقوف الإمبراطور البيزنطى من الفرنجة موقف الصديق واعتبرهم حلفاء أقوياء؛ لذلك نجح كلوفيس فى انتزاع النصف الشمالى من غاليا من يد حاكمها الرومانى المستقل بأمره والذى سمى نفسه ملك الرومان فى غاليا ويدعى سياجريوس بعد انتصاره عليه عند سواسون سنة ٤٨٦م.

ثم توالت انتصاراته على قبيلة الألمانى فى الالزاس سنة ٤٩٦م وأخيراً انتصاره على الاريك ملك القوط الغربيين عند فوييه القريبة من بواتييه سنة ٥٠٧م فانتزعوا نصف غاليا الجنوبية من القوط ماعدا ولاية سبتمانيا والتى بقيت فى يد القوط الذين عبروا إلى أسبانيا بعد طردهم من غاليا ، وقد ازداد تألق نجم كلوفيس بعد أن اعتنق المسيحية على المذهب الكاثوليكى وأدى تنصره إلى انتشار المسيحية بين أتباعه وشعبه من الفرنجة .

كما أدى هذا أيضًا إلى كسب ود الكنيسة الغربية والتحالف معها[١٨] وتأييدها له ليس فقط فى غاليا وإنما فى جميع أرجاء غرب أوربا مما أدى إلى فرض سيادته على الفرنجة البحريين والبريين جميعا فأصبح فعلا من أبطال المسيحية الكاثوليكية ونقل عاصمته من سواسون إلى باريس، وبذلك بدأ يتحدد تاريخ غاليا بظهور أسرة ملوك الميروفنج الذين لم يسلكوا مع الغاليين مسلك عدائى على عكس القوط الأريوسيين[١٩] الذين سبقوهم إلى تلك البلاد ولم يكونوا يحملون عناصر البقاء والاستقرار داخل هذه الأقاليم لأنها كانت تختلف عن مواطنهم الأصلية اختلافًا كبيراً فلم يندمجوا فى هذه المجتمعات الجديدة، أما الفرنجة فاستطاعوا التقرب من أهل هذه البلاد والاندماج بينهم لذلك تقبل أهل غاليا حكم الفرنجة الجديد ورضوا به .

وهناك حقيقة مهمة أثرت فى تاريخ الفرنجة ومستقبل دولتهم تأثيراً عميقًا. هى أنهم ظلوا يعتبرون الملك إرثًا يقسم بين سائر أبناء الملك أسوة بسائر أنواع الإرث ، وضح ذلك قبل وفاة كلوفيس سنة ٥١١م فى تقسيمه لمملكته بين أبنائه الأربعة ووزعهم فى الحواضر الأربعة التالية

فى كل من متز، أورليان ، باريس، سواسون، وبالرغم من هذا التقسيم إلا أن هؤلاء الأبناء استمروا فى توسيع رقعة مملكة الفرنجة شرقًا بامتداد أعالى نهر الألب، وأضافوا إليها مملكة برجنديا وأراضى القوط الشرقيين الواقعة شمال جبال الألب ولكن سرعان ما دب النزاع بينهم لفترة طويلة من الزمان لم ينج منه إلا لوثير الأول ابن كلوفيس ، فاتحدت المملكة الميروفنجية تحت رايته ولكن لم يستمر هذا الحال طويلا لأن لوثير الأول قسم مملكته بين أبنائه الأربعة مما أشعل الحرب مرة ثانية بين أبناء هذه الأسرة(٢٠) وكانت حربًا داخلية عنيفة، نجم عنها قيام ثلاث ممالك للفرنجة فى استراسيا وعاصمتها متز، ونوستريا الأرض الجديدة وعاصمتها سواسون ويسود فيها العنصر الغالى.

أما برجنديا(٢١) فلم يكن لها ملك خاص بها بل اتحدت مع نوستريا تحت زعامة ملك واحد، ثم اتحدت الممالك الثلاث من جديد سنة ٦١٣م، تحت زعامة ملك واحد هو لوثير الثانى، وبعد وفاته انتقلت الزعامة لداجوابرت بن لوثير " ٦٢٨-٦٣٨م» الذى يعتبر آخر ملك قوى فى البيت الميروفنجى الذى توسع فى إقامة محالفات مع الأسرات الحاكمة والنبلاء، وبعد وفاته لم يعد تاريخ الدولة الميروفنجية مرتبطًا بالملوك بل ارتبط برؤساء البلاط(٢٢) فى الأقسام الثلاثة التى انقسمت إليها الدولة الميروفنجية .

والواقع أن مرحلة تاريخ الفرنجة فى الفترة الممتدة بين سنتى ٦٣٩م حتى سنة ٧٥٦م تعتبر من أهم الفترات نظرًا لما وقع فيها من تغييرات مهمة واضطرابات خطيرة، فعلى الرغم من أن الأسرة الميروفنجية لاتزال تحكم مملكة الفرنجة فى هذه الفترة فأنها فقدت حيويتها إذ كان يمثلها

ملوك ضعاف صغار السن عاشوا دائما فى حماية رئيس البلاط الذى كان زعيمًا للنبلاء وترتب على انقياد هؤلاء الملوك لرؤساء البلاط فى القرن السابع الميلادى تصادم المصالح المحلية فنشبت الحروب الداخلية وتطلع الزعماء إلى الاستقلال(٢٣) والرياسة أسوة بما انتهى إليه محافظو القصر، فاستقلت دوقية أكوتيانيا فى جنوب غاليا والتى كانت مترامية الأطراف فى حوض نهر الجارون بعد أن استردت استقلالها خطوة فى أثر خطوة فى عهد دوقها لوبوس Lupus والذى كان من سلالة ملوك الميروفنج الشماليين(٢٤).

وقام نوع من التحالف بين مدن هذه الدوقية وبين الغسقونيين (٢٥). حتى يستطيع الدوق لوبوس الوقوف فى وجه رؤساء البلاط فى كل من أستراسيا ونوستريا، وظل لوبوس أميراً قويا لأكوتيانيا حتى توفى سنة ٦٧٤م فتولى أمرها ابنه الدوق أودو وأمام الضعف الذى أصاب ملوك الفرنجة وضياع هيبة وسلطان الدولة أخذ حجاب القصر يرتقون من مكانهم ليسيطروا على الحكم فى كل من أستراسيا ونوستريا ويصف Lavisse هذا الوضع بقوله (٢٦):

«إن العنصر الميروفنجى أصبح منذ وقت بعيد لايملك القوة ولايملك السلطات وليس له من الملك إلا الاسم فقط ، كانت موارد المملكة كلها فى أيدى حجاب القصر ولم يبق للملوك إلا شبح السلطة ... كانوا يجلسون على العرش ويستقبلون الملوك ويستمعون إلى السفراء فى كل مكان لكن حجاب القصر كانوا يبسطون يدهم بالمال إذا أرادوا ويكفون يدهم إذا أرادوا ولم يبق لهم من ملكهم الواسع إلا إقطاعا واحداً وموارد محدودة ومعهم العدد المحدود من الخدم والأتباع لقضاء حاجياتهم

الضرورية ويستخدمون فى تنقلاتهم عربة عجفاء تجرها الثيران. وهكذا كانوا يذهبون إلى القصر ويحضرون الاجتماعات الشعبية التى تعقد كل عام للنظر فى أمور المملكة ثم يعودون إلى مثواهم مرة أخرى لكن كل الإدارة الملكية والسلطان والموارد وكل الأمور الداخلية والخارجية كانت فى أيدى حجاب القصر».

لقد نجح بيبن الثانى هريستال حاجب القصر فى أستراسيا (٦٧٨-٧١٤م) ، وهو حفيد بيبن الأول كونت لاندن السابق فى أن يفرض سيادته على حجابة القصر فى كل من أستراسيا ونوستريا سنة ٦٨١م بعد أن بذل الكثير من الجهد لإخضاع طبقة الملاك الأرستقراطية التى نشأ فيها، فأعاد سيطرة الفرنج على الشعوب الجرمانية فأخضع الفريزون Frison فى سنة ٦٨٦م واستولى على أغلب بلادهم(*) وكانوا يدينون بالوثنية فحولهم إلى المسيحية، كما حارب الألمان حول بحيرة كنتسانس واعترف البافاريون بسلطانه وكان بيبن هريستال الثانى يصحب معه أثناء حروبه المبشرين بالمسيحية فى جميع الأرجاء التى يذهب إليها ويغدق العطاء على أتباعه ، وكان ملوك الفرنج ما يزالون مجرد أشباح يتوارثون العرش وقد أطلق على ملوك هذه الأسرة فى القرن الثامن الميلادى لقب الكسالى Faineants [٢٧]، وقد استمر بيبن الثانى فى حكمه سبعة وعشرين عامًا وتوفى سنة ٧١٥م- ٩٦هـ وفى هذه الفترة كان الفتح العربى لأسبانيا وتم فتحها على يد موسى بن نصير وطارق بن زياد منذ سنة ٩٢هـ .

وقبل وفاة بيبن الثانى كان قد أوصى بمنصبه لحفيده تودفالد من ابنه جريموالد الذى قتل قبل وفاة بيبن الثانى وبذلك تخطى ابنه الأكبر شارل

البالغ من العمر ثلاثين عامًا من زوجته الثانية وكان أبوها زعيما فريزيًا، مما أثار الفتن والقلاقل والاضطرابات مرة ثانية بين أبناء حجاب القصر في أوستراسيا ونوستريا ، ولكن شارل استطاع التغلب على هذه الأحداث بمساعدة أتباع أبيه من نبلاء أوستراسيا الذين رفضوا المبايعة لحفيد بيبن وساعدوا شارل على الانتصار على أعدائه فقام بعدة حملات لتأمين دولة الفرنجة من ناحية الشرق فأرغم السكسون والفريزيين على دفع الجزية وخرب المعابد الوثنية وأخضع دوقية ألمانيا كما خاض معركتين في بافاريا وأخضعهم لسلطته(٢٨) ، فأمن دولة الفرنجة من الشرق واتجه ببصره إلى جهة الجنوب حيث دوقية اكويتانيا القوية وصاحبها أودو وما يدل على مدى قوته اتصل به شلبريك الثاني ملك نوستريا ٧١٥-٧٢٠م وابنه أجنفريد وقاما بإعطائه الكثير من الهدايا ليعترف بهما ملكين على أكويتانيا وفي سنة ٧١٩م، اتخذ الدوق أودو جانب أهل نوستريا أعداء شارل عند بلدة سواسون فاتجه إليها شارل لفض هذا الحلف فقضى عليه وفر أودو هربًا إلى نهر اللوار، وبهذا أصبح ابن بيبن سيد أوستراسيا ونوستريا في وقت واحد ، بل أجبر أودو على الاعتراف بسيادة الفرنجة الشمالية اسميًا (٢٩).

وهكذا استطاع شارل بن بيبن الثاني أن يقضي على جميع الثورات في بلاد الغال وضمها لنفوذه وتحققت له وحدة جميع بلاد الغال فعين حاجبا للقصر سنة ٧١٩م / ١٠٠هـ ولكن معاصريه كانوا يعتبرونه نائبًا للملك ورأوا أن لقب حاجب القصر أو الدوق لايتناسب مع أعماله وجهوده لذلك لقبوه بالأمير وبنائب الملك، فكان يصدر المراسيم باسمه

ويعين الرجال فى المناصب الدينية والمدنية. ويعقد المجالس وله الكلمة العليا فى السلم والحرب وقيادة الجيوش فكان الملك فعلاً [٣٠]، وأثناء ذلك وجد أن الخطر الأكبر الذى يهدد دولة الفرنجة فى ذلك الوقت جاء من ناحية الجنوب أى من جانب المسلمين الذين بدأوا ينفذون إلى جنوب فرنسا فى إقليم سبتمانيا بل اتخذوا نربونة عاصمة هذا الإقليم قاعدة لهم لغزو فرنسا كلها .

هذه هى حقيقة الأوضاع السياسية فى القرن الثامن الميلادى لبلاد غاليا ففى الجزء الشمالى كما رأيناه قد طغت عليه قوة حجاب القصر الذين كانوا يتحكمون فى مصير ملوك الميروفنج الضعاف .

أما فى الجنوب فكانت دوقية أكويتانيا التى أخذت استقلالها منذ أمد بعيد وكان صاحبها أودو يكن الكره لحجاب القصر الذين كانوا يتحكمون فى ملوك الميروفنج أبناء عمومته ، وكان يطمع إلى انتزاع ملك الفرنج أو ملك أسرته ويعد العدة لقتال كارل مارتل المتغلب عليه فانصرف إلى التوسع والسيطرة على المناطق المجاورة لمملكته والتف حوله القوط والبشكنس «النافوريون» وطمع فى الاستيلاء على مقاطعة سبتمانيا والبروفانس[٣١] حيث سيظهر أمير البروفانس الكونت مورنتوس أو مورونت الذى كان يحكم ما بين نهر الرون وجبال الألب لينافس الكونت أودو ويسعى هو أيضًا إلى توسيع ممتلكاته على نحو ما كان يفعل أودو؛ لذلك كانت جنوب فرنسا فى حالة من الفوضى السياسية، كل صاحب أطماع أراد أن ينفرد بإمارة منها ويستأثر بالزعامة[٣٢].

وهناك حقيقة مهمة أثرت فى أوضاع جنوب غاليا أيضا وهى أن غالبية سكان سبتمانيا والبروفانس كانت من شعب مركب من أعقاب الرومانيين القدماء ومن القوط وكان لكل من الفريقين عادات وشرائع خاصة بهما. كل هذه العوامل السابقة كان من أهم نتائجها سهولة انسياب قوات الفتح الإسلامى لجنوب فرنسا، بل وجدوا كل التعاون من سكان المناطق الجنوبية لأنهم كانوا ينظرون إلى الفرنجة على أنهم برابرة من أهل الشمال بينما هم يرون أنفسهم ذوى مدنية قديمة وعريقة منذ زمن الرومان (٣٣).

ب- كيفية تدفق القوات الإسلامية إلى جنوب فرنسا وتأسيس مدينة نربونة والتوسع فى أوربا :

المتأمل فى أحداث الفتح الإسلامى فى منطقة البحر المتوسط يستطيع أن يتبين فى وضوح الاستراتيجية العسكرية للمسلمين وأسلوبهم فى الفتح الذى لم يتغير كثيراً منذ قيام الدولة الإسلامية الأولى وحتى فتح جزيرة صقلية سنة(٣٤) ٢١٢هـ- ٨٢٧م.

هذا الأسلوب يسمى فى المصطلح العسكرى باسم «القاعدة المتحركة» حيث كان الفتح يبدأ من قاعدة معينة تسمى ثغر المسلمين تتمركز فيها قوات المجاهدين وتجمع فيها المؤن والذخائر وتنشأ الحصون ويدرس المقيمون فيها أساليب العدو وإمكاناته تخرج من هذه الحصون موجات عبارة عن غارات سريعة متلاحقة تسمى بالغارات(٣٥) الثغرية فهى فرصة تدريب وإعداد واختبار للإقليم المراد فتحه ثم تتحول هذه الغارات السريعة إلى فتح منظم، ويتم فتح إقليم جديد سرعان ما يتحول هذا الإقليم المفتوح وحدوده الملاصقة للعدو إلى قاعدة جديدة تقوم بنفس الدور الذى قامت به القاعدة السابقة من الانتشار وتنظيم الفتوحات إلى أن يتم فتح جديد وهكذا .. وسنجد تأييداً لهذه النظرية من خلال متابعة أحداث فتح الأندلس .

خرجت من قاعدة المغرب الأقصى غارات ثغرية قاصدة أسبانيا لمعرفة أحوالها ثم بدأ المسلمون فتحها بأنشاء قاعدة الجزيرة الخضراء التى خرجت منها الجيوش فى عهد موسى بن نصير بقيادة طارق بن زياد ثم عبد العزيز بن موسى الذين أتموا فتح بلاد الأندلس كلها بل أسرعوا فى الاقتراب من جبال ألبرتات(٣٦) حتى ليقول المؤرخون إن موسى بن نصير

لم يكن يقف عند حد ولكنه جاء إلى الأندلس ليخترق هذه الجبال فى طريقه نحو القسطنطينية كقول ابن القوطية «وبذا صارت البلاد تسلم والولايات تدخل فى حوزة العرب حتى وصل الأمير موسى بن نصير الذى كان فى عزمه أن يفتح أوربا من شرقها إلى غربها ويفتح ضمنًا القسطنطينية»[٣٧] لأن موسى كان يود أن يطوق جذور المقاومة القوطية حتى يقطع الإمداد الذى تدفق من جنوب فرنسا إليهم، لكنه لم يستطع تحقيق غايته بسبب استدعائه إلى بلاد الشام[٣٨].

وقد قدر لعبد العزيز بن موسى أن يتم ما بدأه أبوه فافتتح الجزء الشرقى الممتد على طول الساحل الإسبانى حتى مدينة برشلونة وصالح شريفًا قوطيًا من أنصار العرب اسمه تدمير[٣٩] على ما بيده من البلاد وعقد معه معاهدة جعلت هذا الإقليم كله تحت إشراف العرب المباشر واعترفت بتدمير هذا حاكمًا يحكم البلاد بأمر العرب وينفذ سياستهم[٤٠] وأيضًا تمكن الأسطول الإسلامى من القيام بغزوات متلاحقة على جميع الجزر المتناثرة فى غرب البحر المتوسط ، بل وصلت طلائع القوات الإسلامية إلى سرقسطة واقتربت من المنفذ الطبيعى الذى يقع بين جبال البرنييه والبحر الذى كان يسلكه المتجهون إلى الشمال وأصبحت هذه المنطقة قاعدة إسلامية وعرفت بالثغر الأعلى فأصبحت «قطالونيا وسرقسطة» تخرج الجيوش الإسلامية منها إلى جنوب فرنسا فى غارات ثغرية صوب الشمال فى حركات متلاحقة فعبرت ما وراء جبال البرتات .

وكان بداية هذا الاتجاه فى عهد أيوب بن حبيب اللخمى سنة ٩٧هـ فقد قضى أغلب ولايته القصيرة مجاهداً فى شمال أسبانيا وفى الشمال

الشرقي ليهيئ للزحف الإسلامي قاعدة صالحة للانطلاق ، فقام بتطهير المناطق الشمالية من بقايا القوط والقضاء عليهم [٤١]. لأن المقاومة القوطية بعد أن هزمت أمام موسى بن نصير كانت تتلقى المساعدات من الكونتيات الملاصقة للجبال وأهمها دوقية أكويتانيا وصاحبها الكونت أودو[٤٢] الذى أراد استغلال هذه الأوضاع لصالحه ليقوى سلطته على جنوب فرنسا كما رأينا من قبل.

وقد كان العرب على علم بهذه الأمور فأرادوا أن يقطعوا هذه الصلة، واستكملت هذه المحاولات فى عهد الوالى الحُرُّ بن عبد الرحمن الثقفى ٩٧-١٠٠هـ [٤٣] حيث بدأ الاتجاه الواضح إلى اختراق جبال البرتات تنفيذاً للسياسة السابقة. فهو يمثل البداية الأولى فى هذا الاتجاه، فقد توغل داخل الأرض الكبيرة التى عرفت باسم غاليا Gallia فغزا سبتمانيا وهى أول قاعدة خلف جبال البرتات واخترق الطريق التقليدى المؤدى من أسبانيا إلى أوربا من الناحية الشرقية فيما بين نهاية الجبال وسواحل البحر وهذا الممر يعرف بممر بيربنيان (Pirpignon) [٤٥]، وافتتح مدنها السبع بما فيها قاعدتها نربونة «أو أربونة» لأن الأحوال السياسية كما رأينا فى هذه المنطقة من العوامل التى ساعدت على تدفق العرب ومحاولة الاستقرار فيها.

فلم يكن هناك من واق لجنوبى فرنسا فى ذلك الوقت ، أو وجود قوة سياسية موحدة حتى تقف فى وجه المد العربى الذى تدفق إليها فى هذه الفترة ، ويبدو أن المسلمين لم يستقروا كثيراً فى هذه النواحى ففقدوها بعد قليل للمقاومة القوطية التى صادفوها فى سبيل المحافظة على ما تبقى لهم فى هذه المنطقة لذلك لم تتحقق رغبة الاستقرار فى هذه المنطقة

إلا فى ولاية السمح بن مالك الخولانى (١٠٠-١٠٢هـ / ٧١٨-٧٢٠م»[٤٧] الذى حقق الفكرة التى دارت برأس موسى بن نصير من قبل وقام بحملة فى سنة ١٠٢هـ / ٧٢٠م، وأعاد إقليم سبتمانيا واستولى على أربونة بعد حصار دام شهراً وقد غنم المسلمون كثيراً من الأموال والتحف ومما ساعد على سقوط أربونة فى يد المسلمين اشتراك قوات بحرية إسلامية فى محاصرتها من جهة البحر مما سهل وصول المدد الإسلامى إلى القوة المحاصرة لأربونة ونجحوا فى الاستيلاء عليها[٤٨] ومنذ ذلك الحين أصبحت أربونة قاعدة للعمليات الحربية فى غاليا حيث إن الأمر تطلب إنشاء قاعدة للمجاهدين هناك لأن الجيوش العربية قد بعدت المسافة بينها وبين قاعدة الأندلس . فلابد أن يكون هناك مقر لهم فى هذا الجزء ومن هنا كان اتخاذ نربونة قاعدة للجند الإسلامى فدعم السمح حصونها وشحنها بالمقاتلين لأن للمسلمين أسلوبًا خاصًا بهم فى تمصير المدن وتحويلها إلى مدن إسلامية فالعرب الذين هاجروا إلى هذه المدن الساحلية واستقروا بها كانوا ذوى خبرة فى إصلاح الحصون ومواجهة سفن العدو، وكانوا يدبرون للجند المساكن وأسباب الرزق[٤٩].

ولمزيد من التحصينات لهذه القاعدة أقام السمح فى المدن المجاورة تحصينات قوية ثم تتبع نهر الجارون واتجه غربا وفتح جميع ما صادفه من المدن والحصون مثل بيزيه Bezies وماجلون Maguelenne وهما من مدن سبتمانيا ، وقد عرفت مدينة ماجلون باسم ثغر المسلمين Pourt-Sarrasin ، ثم فتح قرقشونة Caracasonne وسار حتى وصل إلى طولوشة Toulouse عاصمة أكوتيانيا فأصطدم بصاحبها الدوق أودو ، فكان من الطبيعى أن تدور موقعة عنيفة على مقربة من هذه المدينة بعد تشديد

الحصار حولها من جانب المسلمين بل نصبوا حولها المنجنيقات(٥٠) وظلت تقاوم حتى وصل أودو على رأس جيش ضخم ودارت معركة عنيفة انتهت بإصابة السمح بطعنة قضت عليه أواخر سنة ١٠٢هـ / ٧٢٠م.

وقتل معه عدد كبير من المسلمين وعادت فلول الجيش الإسلامى بقيادة عبد الرحمن الغافقى الأزدى إلى سبتمانيا وبرغم ذلك احتفظ العرب بأربونة فى أيديهم وقد تولى عبد الرحمن الغافقى قيادة الجيش وتنظيم أمور الجنود والمهاجرين العرب فى نربونة وفيما حولها من المدن التابعة للمسلمين(٥١) ولما شاع خبر انهزام العرب دبت الحماسة فى قلوب أهالى اللانجدوك والبرانس وحاولوا الخروج على طاعة العرب إلا أن عبد الرحمن الغافقى ومن معه من قوات المسلمين استطاعوا القضاء على الفتنة فى مهدها وجاء المجاهدون من كل مكان وألزموهم الطاعة واستبقوا الجزية على أربونة وغيرها من مدن سبتمانيا (٥٢)، ولم يستمر عبد الرحمن الغافقى فى الولاية إلا بضعة أشهر ثم خلفه عنبسة بن سحيم الكلبى من قبل والى أفريقية يزيد بن أبى مسلم وذلك فى سنة ١٠٣هـ / ٧٢٢م وكان عنبسة من طراز السمح تقيًا ورعًا وإداريًا وعسكريًا مجاهداً حريصًا أمينًا على الدولة الإسلامية وأهلها(٥٣).

فلم تكد أمور عنبسة بن سحيم تستقر فى الأندلس حتى عاود الغزو فى جنوب فرنسا فلم يسر فى الاتجاه الذى سلكه السمح من قبل بل سار على الساحل فأعاد البلاد التى ثارت على السيادة الإسلامية عقب مقتل السمح ففتح قرقشونة وصالح أهلها على نصف أعمالها وعلى جميع ما فى المدينة من أسرى المسلمين كما تعهد أهلها بدفع الجزية والالتزام بأحكام أهل الذمة من محاربة من حارب المسلمين ومسالمة من

سالموهم[٥٤]، ثم زحف العرب بعد ذلك إلى مقاطعات نيم وبوى Puy وكلير مونت Clermont فلما اقتربوا من دير موناسيتر Monastieris فى منطقة فالى Vally فى إقليم البروفانس (جمع رئيس الرهبان وهو القديس شافر Cheffer رهبانه وأمرهم بالفرار بأنفسهم إلى الغابات المجاورة وظل هو بالدير علي أمل التأثير على المسلمين أو لعله أراد أن يكون فى تضحيته بنفسه خلاصا لرعيته- كما يزعمون - فلما وصل العرب إلى الدير طبقا للروايات المسيحية لم يجدوا به سوى هذا القديس فضربوه وتركوه فمات بعد قليل[٥٥] وهذا شئ مبالغ فيه لأنه كان ضد سياسة المسلمين عند فتحهم لأى إقليم «من احترام رجال الدين والكنائس».

ثم واصل عنبسة سيره فى سنة ١٠٤هـ/ ٧٢٢م فأغار على منطقة دوفينى Dauphine وعاصمتها جرنويل (Grenoble) [٥٦]، حتى أدرك نهر الساؤون فى الجهة الشرقية لجنوب غاليا فدخل إقليم برجنديا التى اشتهرت فيما بعد باسم فرانش كونتيه [٥٧]. وبذلك بسط المسلمون سلطانهم قويًا فى شرق جنوبى فرنسا ثم عاد إلى أربونة ، ولم تقف حملات عنبسة عند هذا الحد بل صعد مع نهر الرون[٥٨] والأمر الذى يستحق الالتفات حقًا هو هذا الاتجاه الجديد إلى إقليم الرون والتوغل معه صوب الشمال والعدول عن اختراق الجارون ودوقية أكوتيانيا فى الغرب، ويبدو أن هذا الاتجاه لم يكن مجرد رغبة فى الثأر والانتقام لما نال المسلمين فقط، بل رغبة فى مواصلة الفتح وفق خطة مرسومة ومما يدل على ذلك أن الحملات التى أرسلها عنبسة فى هذه النواحي استغرقت عامين ١٠٥-١٠٧هـ / ٧٢٣-٧٢٥م) وقد تفرعت إلى فرعين

: الحملة الأولى صعدت مع نهر الرون وأجتاحت مدينة أوزه Uzes ومدينة ڤين Vienne وواصلت سيرها نحو ليون ثم ماسون وشالون وديجون (قاعدة بلاد برجنديا)[٥٩] ولونجر Longer ثم أخضعت مدينة بون Bon التى تقع على بعد ٣٨كم إلى الجنوب الشرقى من ديجون وواصلت الحملة تقدمها من ديجون إلى مدينة أوتان Autun فى أعالى نهر الرون [٦٠]. أما الحملة الثانية فوصلت سراياهم إلى جهات نهر اللوار ولم يتوقف زحفهم إلا قرب بلدة سانس على بعد ثلاثين كيلو متراً جنوبى باريس بسبب مقاومة أهل المدينة [٦١]، وبذلك وصل عنبسة إلى أواسط غاليا أى إلى قلب أوربا الغربية مما أشاع فى نواحى غاليا كلها رعبًا شاملاً .

ويبدو أن الدوق أودو قد أخافته هجمات المسلمين فاتجه إلى محالفتهم والولاء لهم فقد ساعدهم فى عبور نهر الرون والاتجاه صوب الشمال وتركهم يتوغلون لايهاجمهم من الخلف إنما يحمى مؤخرتهم لعله يستفيد من مساعدة العرب فى القضاء على نفوذ شارل حاجب القصر الذى لم يكن على وفاق معه، فقد اشتعلت الحرب بينهما فى هذه الفترة وقام شارل بغزو أكويتانيا ونهبها مرتين لأن شارل كان يطمع فى بلاده الغنية[٦٢] الواسعة وأيضا كان معظم الأشراف الإقطاعيين فى بلاد الغال يخافون شارل ويكرهونه ويودون القضاء عليه، ولعل هذا هو الذى دفع أودو إلى الاستعانة بأمير شمال إسبانيا عثمان بن أبى نسعة[٦٣] ومعاونة عنبسة، وربما كان هذا الحلف أيضا هو السبب فيما وفق إليه المسلمون من انتصارات فاقت ما كان منتظراً ويبدو أن عنبسة بن سحيم الكلبى أدرك- بعد هذا التقدم الظافر عندما اقترب من باريس- أنه

توغل فى قلب غاليا أكثر مما ينبغى فخشى ألايستطيع تأمين خطوط عودته ثم إنه صادف ذلك الوقت انبعاث العصبية فى الأندلس ووقع خلاف بين القيسية واليمنية (٦٤).

وربما لو لم تجتمع هذه الأحوال فى ذلك الوقت لما انصرف عنبسة عن فتوحه فى غالة بعد أن حالفه مثل هذا التوفيق، ولما عزم عنبسة على العودة داهمته جموع كبيرة من البشكنس فى أحد ممرات البرنيه والتحم معهم فى اشتباك هائل كثر فيه عدد القتلى وانتهت هذه المعركة بإصابة عنبسة بجراح قاتلة توفى بسببها فى شعبان سنة ١٠٧هـ/ ٧٢٦م، فعادت فلول الجيش الإسلامى بقيادة عذرة بن عبدالله الفهرى إلى أربونة وظل عذرة واليا على الأندلس وأربونة مدة سنتين وثلاثة أشهر (١٠٧هـ - ١١٠هـ) (٦٥). وواصل عذرة جهاد سلفه فى بلاد غاله بعد أن جاءته الإمدادات من الأندلس فثبت سيادة المسلمين على المدن فى سبتمانيا ودخل حوض الرون وغزا الألبيين Les Albegois على نهر الجارون وإقليم روريج Le Rouergue وجيفودان Gevaudan وليفيه Levelay كذلك احتل حصن روكبريف Roqueprive فى مقاطعة رودس Rhodés (٦٦).

وفى هذه المنطقة انضم إليه عدد كبير من أهلها ، وزحفوا معه فاتسع مجال الغزو والهجوم ، ثم عزل عذرة الفهرى فخلفه حذيفة بن الأحوص الأشجعى الذى استمر ستة أشهر على الأندلس. وتوالى عدد من الولاة على الأندلس مما كان سببا فى تفاقم الاضطرابات والخلاف بين القبائل ، حتى تولى الهيثم بن عبيد الكنانى فى سنة ١١١هـ ٧٣٠م(٦٧) الذى حاول أن يقر الأوضاع ويقضى على الفتن والمخالفين له فى الرأى وبخاصة اليمنية، ثم انصرف بعد ذلك إلى محاربة منوسة حاكم منطقة

الاشترياس، ولكنه لم يوفق في القضاء على منوسة، فسار بجيشه صوب الشمال ليقمع الثوار في الولايات الجبلية ويواصل الغزو فعبر البرنيه ، واخترق سبتمانيا إلى وادي الرون، وغزا ليون وماسون وشالون الواقعة على نهر الرون ليثبت نفوذ المسلمين في هذه المناطق[٦٨] ، ولكن هذا الفتح الكبير لم يكن له أثر يذكر بسبب سياسة الهيثم الصارمة تجاه شيوخ العرب والبربر ، فشكوه إلى الخليفة هشام بن عبدالملك فبعث محمد بن عبد الله ليتحقق من أمره، فلما ثبتت إدانته ألقى به في السجن ثم أسند محمد بن عبدالله إلى الأمير عبد الرحمن الغافقي ولاية الأندلس ونربونة سنة ١١٣هـ / ٧٣٢م.

وقد عاد المد الإسلامي في جنوب فرنسا على يد عبد الرحمن الغافقي وسار بقوة دافعة كبيرة إذ كان أقدر قائد عرفته الأندلس في عصر الولاة ، فقد قضى أحسن أيامه عاملا في جيوش المسلمين فيما وراء البرنييه، وكان من ذلك الجيل من سكان الربط والحصون وكان عميق الإيمان. صادق الرغبة في الجهاد وقد اتفقت المراجع العربية واللاتينية على شجاعته النادرة[٦٩] ومقدرته الحربية لذلك مال الناس إليه لبراعته في شئون الحكم والإدارة، وكانت موقعة طولوشة قد تركت أثرا عميقا في نفس عبد الرحمن فعلمته الحذر والحيطة وتركت في نفسه رغبة جامحة في الثأر، ولم يكن ليهدأ له بال إلا باستئناف الغزو لذلك حشد حشداً كبيرا من نخبة المقاتلين والمرابطين بعد أن أعلن الجهاد في سبيل الله في الأندلس وإفريقية فجاءه المتطوعون من كل مكان فلما وصلته نجدات من أفريقية تجمع لديه نحو من سبعين ألف مقاتل كلهم من البربر واليمنية، فسرحها عبد الرحمن إلى الدروب وأراد أن يشغل

العدو ببعض الغارات ليصرف نظر الفرنجة عن الوجهة الحقيقية للمعركة فأرسل إلى أمير الولايات الشمالية منوسة أو «أبى نسعة» ليقوم بهذه المهمة لكن هذا الأمير لم يقابل الأمر بصدر رحب لأنه كان ينافس عبد الرحمن على الإمارة ويرى نفسه أحق بها، وكان فى إحدى غزواته على فرنسا قد وقعت فى يده ابنة أودو دوق أكويتانيا فتزوجها وأصبح صهرا لدوق أكويتانيا وحليفه (٧٠).

فلما صدرت أوامر عبد الرحمن بمحاربة الدوق أعرض عن تنفيذها ، وسارع أمير الثغر بتحذير صهره من الخطر المحدق به ، ثم أعلن العصيان لكن الغافقى أرسل جيشا بقيادة ابن زيان وطلب منه أن يقبض على هذا الثائر هو وزوجته وأنصاره الذين فروا إلى الجبال ويبعث بهم إليه وأن آبى الطاعة أهدر دمه . فتتبعه الجند حتى أدركوه وقبضوا عليه وأرسله زيان إلى عبد الرحمن الغافقى ، وبعد القضاء على ابن أبى نسعة وثورته(٧١) فى سنة ١١٣هـ / ٧٣٢م، واصل الغافقى عبوره عن طريق ممرات رونسفال واتجه شرقا فى جنوب غالة ليضلل الفرنجة عن وجهته الحقيقية وهى دوقية أكويتانيا ، وأخضع فى طريقه مدينة آرل التى كانت قد خرجت عن طاعة المسلمين وتوقفت عن دفع الجزية. وبعد أن تم له ذلك وأمن ظهره اتجه نحو الغرب لمداهمة أكويتانيا واجتاح فى طريقه غسقونية Gascony والتقى بالدوق أودو عند التقاء نهر الجارون بنهر دوردونى Dordogne وانتصر على الفرنجة انتصارا كبيراً وبلغ عدد القتلى من الفرنجة عدد لايحصى فتقهقر الدوق أودو عن عاصمته بوردو (Bordeaux) (٧٢).

ومضى الغافقي في طريقه متتبعا مجرى نهر الجارون واكتسح في طريقه جميع ما صادفه من عقبات حتى استولى على بوردو بعد مقاومة قصيرة ودخلها ، ثم اندفع المسلمون شمالا في السهل المتسع الذي يحده شمالا نهر اللوار وجنوبا نهر الجارون ووصلوا إلى مدينة بواتييه Poitiers ، وغنموا كنوزاً كثيرة واستعدوا للتوجه إلى تور Tours وهي ثاني مدينة في الدوقية بعد بوردو (٧٣) ، فانهزم أودو هزيمة ساحقة وفر في نفر من صحبه إلى الشمال وسقطت اكويتانيا كلها في يد المسلمين وكان عبد الرحمن يريد فتح هذه المنطقة حتى يصل إلى عاصمة الفرنج بباريس لذلك ارتد عبد الرحمن بعد ذلك غرباً إلى ضفاف نهر اللوار ليتم مشروعه بدخول عاصمتهم .

ولو أن عبد الرحمن الغافقي قد زحف إلى حيث وقف عنبسة وصعد مع نهر الرون متجها إلى نهر السين لكان لغزواته شأن آخر فقد استنفذ جهده كله في مهاجمة أكويتانيا ومحاربة الكونت أودو وصديقه الثائر منوسة «أو أبي نسعة»، فكانت هذه هي غلطة العمر فقد انصرف أودو إلى استصراخ ملك الفرنجة وبذلك توحدت قوى النصرانية في غالة(٧٤) ورحب شارل مارتل بالفرصة التي تمكنه من بسط نفوذه على أكويتانيا وتحقيق أطماعه القديمة وكان حريصا على أن تجتمع قوى النصرانية كلها لمواجهة الخطر الإسلامي الذي وضح منذ أيام عنبسة وأن العرب لن يقفوا عند حد إخضاع دوقية أكويتانيا.

لذلك استنفر شارل المقاتلة من إقليمه وكان قد أنهى حروبه ضد الفريزيين Frisin والسكسون فأتوه مسرعين ، هذا فضلاً عما أثاره هجوم عبد الرحمن على الكونت أودو وحليفه عثمان بن أبي نسعة من العداء

الكامن بينهما في وقت كان يمكن فيه أن تتحد القوى الإسلامية في جهد مشترك(٧٥) وكان الفرنجة كما رأينا في عنفوان قوتهم ومهارتهم وكانوا قد خرجوا من نصر إلى نصر وكان شارل في ذلك الوقت سياسيا قادرا ومحاربًا ماهراً استطاع أن يجمع الناس حوله بالقوة تارة وبالسياسة تارة أخرى، وكان المعسكر الإسلامي تفصله مسافات شاسعة عن القواعد الأصلية ما بين أربونة وتور ولم يكن باستطاعة الغافقي أن يعتمد على نجدات سريعة في ساعة الخطر، وبالرغم من كثرة جيش الفرنجة وكان عدده يفوق عدد المسلمين، استطاع الغافقي بعد وصوله إلى نهر اللوار أن يقطع على قوات الفرنجة الطريق فلما رأى كثرتهم ارتد من ضفاف النهر ثانية إلى السهل الواقع بين تور وبواتييه وعبر شارل اللوار غربي تور وعسكر بجيشه إلى يسار الجيش الإسلامي بأميال قليلة بين نهري كلين وفيين فرعي اللوار. وهناك أمر آخر كان يقلل من فرص النصر وهو الغنائم التي جمعها المسلمون وحملوها معهم حتى نهر اللوار(٧٦).

وبالرغم من ذلك تأهب الغافقي لقتال العدو وخوض المعركة الحاسمة بعزم وثقة ونشبت معركة بينهما على مدى ثمانية أيام أبلى فيها المسلمون بلاءً حسنًا حتى بدأ الإعياء على الفرنجة ولاح النصر في جانب المسلمين فأراد الدوق أن يشغل المسلمين بغنائمهم فقام بحركة التفاف سريعة وهاجم مؤخرة الجيش العربي فاختل النظام بتراجع فريق منه لإنقاذ الغنائم(٧٧).

وكان اللقاء بالقرب من طريق روماني يصل شاتلرو ببواتييه على مسافة نحو عشرين كيلو متراً من المدينة الأخيرة وهو الموضع الذي

يسمى اليوم Maussuas La Bataill وقد هزم المسلمون ولما رأى عبد الرحمن وقوع الخلل بسبب حركة الدوق أودو حاول أن يصلح الأمر فقتل في المعركة في رمضان سنة ١١٤هـ أكتوبر سنة ٨٣٢م وعرفت باسم معركة بلاط الشهداء ، «لأن هذا الحصن كان حصنًا رومانيًا قديمًا ومبلطًا»[٧٨].

وبالغ بعض المؤرخين في تقدير نتائج هذه المعركة على أن المؤرخ بيكر Becker علق على نتائجها بقوله «توقف التوسع العربي توقفًا طبيعيًا بسبب الظروف الداخلية، لهذا ينبغي ألا نبالغ في نتائج نصر تور، إذ إن غارات المسلمين، كان من غير الممكن أن تتحول إلى احتلال دائم لفرنسا، بل كانت هزيمة العرب أمام القسطنطينية أعمق أثرًا من هزائم فرنسا إذ لو سقطت القسطنطينية لتغير وجه الشرق تمامًا ، فكانت معركة تور إذن تمثل اللسان الأخير للموجة العربية في غرب أوربا ، لكن لم تكن السبب الحقيقي في وقف هذا الزحف لأوربا، وإنما السبب الحقيقي هو أن الصراع بين العرب والبربر كان هو السم القاتل يضاف إليه الصراع بين القيسية واليمنية الذي هدم إمكانية الوحدة القومية المحكمة[٧٩]».

فلما قتل عبد الرحمن الغافقي عم الاضطراب في الجيش الإسلامي ولكنهم صمدوا في وجه العدو واستطاعوا أن ينسحبوا جنوبًا صوب قواعدهم في سبتمانيا، فخشي شارل الخديعة والكمين، فاكتفى بانسحاب المسلمين ولم يجرؤ على مطاردتهم وفضل العودة بجيشه إلى الشمال، وكان لهذه المعركة وقع عظيم في دار الخلافة الأموية بدمشق وفي جميع أنحاء العالم الإسلامي، وأثار في نفس الخليفة هشام بن عبد الملك اهتمامًا كبيرًا بشئون الأندلس ومصير الإسلام بها وبجنوب غاليا.

على العموم كان النشاط الإسلامى من العمق بحيث لم يكن يتوقف بسبب إخفاق عبد الرحمن، فلم يكن الجهاد يقترن بشخص أو يقترن بسبب هزيمة مهما كان وقعها- غير أن الزحف الإسلامى قد عدلت وجهته فقد عدل عن الانصراف إلى الطريق الشمالى الغربى عبر اكويتانيا وذلك بالاتجاه إلى الشرق إلى نهر الرون، وضح ذلك لما تولى عبد الملك بن قطن الفهرى ولاية الأندلس سنة ١١٤هـ خلفًا لعبد الرحمن الغافقى وقد أقره الخليفة هشام ابن عبد الملك على الولاية [٨٠]، وقد جهز عبد الملك بن قطن جيشًا ليأخذ بثأر المسلمين ويوطن سلطة الإسلام فى تلك الأقطار بعد أن كادت أمور سبتمانيا والبروفانس تضطرب بسبب الحروب المتوالية وقد زادت الفوضى على أثر هزيمة المسلمين فى بلاط الشهداء لذلك حاول بعض زعمائها انتهاز الفرصة واقتسام البلاد فيما بينهم بعد أن ضعف أمر[٨١] الدوق أودو، غير أن هذه الحركة أدت إلى صراع بين أولئك الزعماء الذين ينضوون تحت جناح أودو والآخرون يتفيأون فى ظل شارل مارتل ، وذلك مصانعة لكل منهما ، ولكنهم كانوا فى الحقيقة يريدون الاستقلال بأمارتهم وكثيراً ما كانوا يتحدوا مع المسلمين فى أربونة [٨٢].

فلما زحف عبد الملك بن قطن إلى بلاد لانجدوك وحصن المدن التى كانت فى أيدى المسلمين واصل سيره حتى ضفاف نهر الرون وثبت نفوذ المسلمين فى بلاد دوفنيه وفالانس حتى وصلوا إلى مدينة فيين [٨٣]، وهنا وضح الاتصال بين المسلمين وأهل بروفانس وظهر من هؤلاء الأمراء الكونت «موروند » أو «مورنتس» الذى كان يلقب بدوق مرسيليا وبيده أكثر مقاطعة البروفانس فأصبح مع المسلمين يداً واحدة [٨٤]، مستغلاً

انشغال شارل مارتل بفرض سيادته على برجونيا وليون بعد سيطرته عليها عقب معركة بلاط الشهداء. ولكن شارل لم يهنأ بهذا الأمر فقد عاود المسلمون نشاطهم مرة ثانية وواصل عبد الملك سيره بمعاونة دوق مرسيليا وأعاد سلطة المسلمين على برجونيا وليون وقد ساعدهم على ذلك أن شارك مارتل اضطر أن يترك هذه الساحة لقتال الفريزون Frisons الذين أعلنوا الثورة عليه ، كذلك كان تحالف أسقف مدينة أوكسير Auxerre وغيره مع المسلمين مساعداً لهم على مواصلة التوغل داخل بلاد الغال (٨٥). وعبروا نهر الردانه (الرون) واستولوا على آرل ثم حاصرت الجيوش المتحالفة مدينة فرتا Fretta وهى المعروفة حاليًا باسم St. Remi ثم تقدمت هذه الجيوش واستولت على أفنيون Avenionum ووصل المسلمون إلى نهر دورانس Durance أحد فروع الرون وهو الذى تقع عليه مدينة أفينون عند نقطة التقائه بالرون وقد حاول أهل أفينون منع المسلمين من المرور بمضيق دورانس لكن المسلمين تغلبوا على جميع العقبات التى كانت فى طريقهم وبذلك ظل المسلمون يتحكمون فى إقليم بروفانس لمدة أربع سنوات لم يجرؤ خلالها أحد على منازعتهم السلطة فيها(٨٦) يقول Laviss » ظل المسلمون سادة إقليم سبتمانيا وازداد نفوذهم على بلاد بروفانس «(٨٧).

ولما شعر عبد الملك بن قطن الفهرى بالرضا للنتائج التى أسفرت عنها حملته إلى بلاد الغال عاد أدراجه متجهًا جنوبًا إلى جبال البرنيز لإخضاع سكانها الثوار ولكن فاجأته أمطار غزيرة فى هذه الجبال فهزم جيشه، وعاد إلى قرطبة دون أن يتمكن من إخضاع الثوار البشكنس ، وبعد عودته عزل فى رمضان سنة ١١٦هـ / ٧٣٤م واختار عبيدالله بن

الحبحاب والى أفريقية والأندلس عقبه بن الحجاج السلولى ١١٦-١٢٣هـ / ٧٣٤-٧٤٠م بدلا من عبد الملك بن قطن [٨٨].

يقول ابن عذارى «ولى هشام بن عبدالملك عبيدالله بن الحبحاب مصر وإفريقية والأندلس فكان له من العريش إلى طنجة إلى السوس الأقصى إلى الأندلس وما بين ذلك فلما شرف عبيدالله وعلت منزلته وانتشر ذكره وفد عليه مولاه عقبة ... وخيّره في ولاية ما شاء من سلطانه ، فاختار الأندلس فولاه عليها وكان يجاهد المشركين فى كل عام ويفتح المدائن وأقام عقبة بالأندلس بأحسن سيرة وأجملها »[٨٩] وكان عقبة من طراز عبد الرحمن الغافقى جنديًا عظيمًا محمود الخلال والسيرة كثير العدل والتقوى، لذلك عزم على أن يعيد عهد الجهاد والفتوح العظيمة وأن يوطن سلطان الإسلام فى الولايات الشمالية التى كانت كثيرة الخروج على المسلمين فغزا جليقية وتوغل فيها واستولى على كثير من معاقلها[٩٠] ولكنه لم يستطع أن يسحق بقية النصارى الذين اجتمعوا حول الزعيم القوطى بلايو التى وما زالت معتصمة بشعاب الجبال وعرفت هذه المنطقة بالصخرة لمنعتها ، وكان هؤلاء من أسباب هزيمة عبد الملك ابن قطن أثناء قتاله معهم .

لذلك عهد عقبة إلى عبد الملك بولاية الولايات الشمالية لخبرته فى هذا الشأن [٩١]، وبعد تأمين مناطق عبور جيشه وصل إلى أربونة قاعدة المسلمين فحصنها وبدأت تخرج قوات المسلمين إلى مدن غالة فى لانجدوك وأقاموا كثيراً من الحصون فيها وشملت هذه الحصون كل موقع يمكن الدفاع عنه حتى نهر الرون وأمد هذه الحصون بالحاميات العسكرية لمراقبة أوضاع الفرنجة عن كثب وتحصين غيرها من المدن التى على

ضفاف الرون، وكان عقبة بن الحجاج قد عقد قيادة الجيش سنة ١١٦هـ/ ٧٣٤م إلى قائده عبد الرحمن بن علقمة اللخمى(٩٢) الذى سيلعب دوراً مهمًا فى هذه الفترة بالاشتراك مع دوق مرسيليا فى استئناف الفتوحات واستطاعا تثبيت أقدام المسلمين فى أراضى أفينون وحصونها فى منطقة «سانت بول تراوشاتو» Saint - Poul Trois Chateau ومنطقة دونزير Don-zere ثم استولوا على فالانس Valence - وكذلك احتلت كتائبهم مدينة ليون من جديد كما غزت ولاية برجونيا مرة ثانية وأقاموا بها الحاميات العسكرية، ولما علم شارل بذلك أثناء انشغاله بالحرب مع السكسون لم يستطع أن يتغاضى عن هذا الخطر المحدق به ، والذى يهدد مملكته سياسيًا واقتصاديًا لأن المسلمين كانوا قد تحكموا فى غاليا الجنوبية كلها بل أقاموا القرى العربية والمراكز الإسلامية التى شملت حوض الرون(٩٣) كله وفى الغرب أيضًا سيطر العرب على تولوز وبوردو عاصمة اكويتانيا لأن الدوق أودو كان قد توفى سنة ١١٧هـ / ٧٣٥م ومعنى ذلك عرقلة طرق التجارة أمام الفرنجة ثم الضيق الاقتصادى الذى سيصيب مدن بلاد غرب أوربا من جراء تحكم المسلمين فى السواحل الجنوبية لجنوب فرنسا (٩٤).

وقد ازدادت هجمات العرب والغاليين ضد الفرنجة مرة ثانية ففى سنة ١١٨هـ / ٧٣٦م عبر الدوق مورنتوس وعبد الرحمن بن علقمة نهر الرون فى جيش مشترك واستوليا على مدينة أفنيون رغم تحصين الفرنجة لها بعد استيلائهم عليها، ثم اخترق هذا الجيش المشترك إقليم دوفنيه واستولوا على أوسيز وفيينة وفالانس وفيين وليون وغيرها وأغاروا على برجنديا لتثبيت سيادة المسلمين عليها، فلما علم شارل بذلك أرسل أخاه

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

شـيلد بـراند «Childebrand » إلى لـيـون لاسـتـردادها ثم استنجـد بملك اللومبارد لويتبراند Luitprand وحاولوا حصار المسلمين في أربونة وذلك في سنة ١١٩هـ/ ٧٣٧م، وقد نجح شـيلدبراند في الوصول إلى افـينون وحاول حصارها ولكنها كـانت منيعة جداً فأضطر إلى استخدام آلات الحصار باستخدام المنجانيق ثم لحق به لوتبراند من جهة إيطاليا ولولا مساعدة ملك إيطاليا لهم، لكان من المستحيل على الفرنجة طرد المسلمين من هذه المناطق (٩٥)، فـاسـتـولوا على مـدينة دوفـيني، ثم لحق شـارل بالقوات الفرنجية السابقة وحاول محاصرة أربونة ولكنه فشل فقد وصلت إلى هذه القاعدة الإمدادات العسكرية (٩٦) ، التي جاءت من جهة البحر تحت قيادة قائد مسلم يدعى عامر بن وهب العبدري. ودارت معركة طاحنة بين مسلمي أربونة وبين شارل وقواته وقد دارت هذه المعركة على ضفاف نهر بيرّ Berre في وادي كوربير La - Valleeéde Corbiere على مسافة قصيرة من أربونة وذلك في ١١٩هـ / ٧٣٧م وتقول الروايات النصرانية إن هذيمة ساحقة نزلت بالقوات الإسلامية ولكن بالرغم من ذلك لم يستطع شارل العودة إلى بلاده لتجدد ثورات الفريزين والسكسون مرة أخرى فلجأ إلى نزع سلاح النصارى الغاليين الذين كانوا يعارضونه وضرب تحصينات بيزيه وآجد وقد عمد إلى تحطيم أبواب مدينة نيم الفخمة كما خرب جزءاً من مدرجاتها القديمة حتى لايستغله العرب للتحصن به بسبب اتساعه ومتانته ، وكذلك خرب حصون ماجلون - وهذه المدينة كانت ميناءً مهمًا للمسلمين من الناحية الحربية والتجارية- إلى جانب استيلائه على عدد من الأسرى المسلمين والمسيحيين. ثم بادر شارل إلى غزو أكويتانيا ودخل بوردو عاصمتها ، وأقام هونالد بن أودو

مكان أبيه على أن يكون تابعًا لمملكة الفرنجة [٩٨]، ثم جاءته الأنباء بوفاة ثيودريك الرابع ملك الفرنجة سنة ١٢٠هـ / ٧٣٧ فارتد مسرعًا إلى عاصمة ملكه ليتقى تدابير خصومه ويبدو أن غزوات شارل فى إقليم الرون كانت خاطفة[٩٩].

وانتهز عقبة هذه الفرصة لاستئناف الجهاد واسترداد ما أنتزعه شارل فعبر نهر الرون واسترد مدينة آرل للمرة الثالثة وذلك فى سنة ١٢٣هـ/ ٧٣٩م[١٠٠]، ونجح عقبه بمعاونة دوق مرسيليا مورنتوس على استرجاع أفنيون وليون وعدة معاقل أخرى في البروفانس وبرجنديا، فلما علم شارل أن العرب استعادوا هذه المدن أرسل إلى أخيه شلدبراند واستغاث مرة أخرى بحليفه لوتبْراند ملك اللومبارد فجاءا إلى بروفانس من جهة الشرق ليضيقوا على قوات الدوق مورنتوس من ناحية ولحق شارل بهم من ناحية أخرى متجهًا إلى الرون بجيش ثالث وزحفت الجيوش المتحالفة على مواقع المسلمين، واستولى شيلدبراند على أفينون، فاضطر عقبة إلى إخلاء بروفانس.والارتداد إلى ما وراء الرون واستولى الفرنج أيضا على معظم مدن سبتمانيا ثم اتجه شارل إلى حصار نربونة[١٠١] ولكنه عجز عن اقتحامها بفضل قوة تحصيناتها وبسالة قائد الجيش الإسلامى عبد الرحمن بن علقمة ، ثم طارد شارل قوات الدوق مورنتوس فى شعب الجبال التى لجأ إليها ناجيًا بحياته، واستولى الفرنج على ممتلكاته وعلى عاصمته مرسيليا [١٠٢]، وقد وضع شارل فيها جزءًا من قواته ، ويبدو أن الدوق مورنتوس قد لجأ فى هذه الأثناء إلى حلفائه العرب واستقر معهم فى أربونة ليستأنفوا الجهاد معًا ضد شارل وقواته [١٠٣].

وأثناء ذلك كانت ثورة البربر التى اشتعلت فى المغرب قد وصلت شرارتها إلى الأندلس سنة ١٢٣هـ، فأضطر عقبة بن الحجاج إلى العودة إلى قرطبة وأثناء عبوره جبال البرنييه اصطدم بعصابات قوية من البسكونيين ولكنه عاد بجيشه سالمًا إلى قرطبة وعزل، بعد أن مكث فى ولايته حوالى ستة أعوام وأربعة أشهر ، يقول صاحب أخبار مجموعة : «فأقام عقبة على الأندلس سنين ، وأفتتح الأرض حتى بلغ أربونة وافتتح جليقية وألبة وبنبلونة، فلما كانت سنة إحدى وعشرين ثارت البربر على فرق الإباضية والصفرية ورأسوا عليهم ميسرة المحفوز المدغرى ، فرجعوا إلى عامل طنجة عمر بن عبدالله المرادى فقاتلهم ثم دخلوا مدينة طنجة ورأسوا عليهم ميسرة المحفوز، ثم رجعوا يريدون إفريقية، وثب كل قوم من البربر على من يليهم فقتلوا وطردوا ، فلما شغل صاحب إفريقية وهو بشر بن صفوان بما حدث عليه، وثب عبد الملك بن قطن المحاربى، محارب فهر، على عقبة بن الحجاج فخلعه فملكها حتى دخل بلج بن بشر القشيرى» (١٠٤).

وظلت بلاد المغرب مشتعلة بثورات البربر وأصبحت أشبه بقارب ينساب ليس له شراع، مما دعا الخليفة هشام بن عبد الملك إلى إرسال جيش كبير للقضاء على هذه الفتنة بقيادة كلثوم بن عياض القشيرى وابن أخيه بلج فلما وصلا إلى المغرب ودارت معارك طاحنة أنتهت بمقتل كلثوم بن عياض وهزيمة جيش الخلافة الذى تفرق إلى قسمين جزء عاد إلى القيروان والجزء الآخر اعتصم فى سبتة تحت قيادة بلج بن بشر القشيرى ولكن الثوار البربر مضوا وراءهم وحاصروهم وساء موقفهم فطلب بلج وأصحابه المساعدة من والى الأندلس عبد الملك ابن قطن الذى

تردد فى المساعدة لأن الأندلس فى ذلك الوقت كانت بعيدة عن هذه الأحداث ، ولكن سرعان ما تغيرت الأوضاع بعد أن وصل إلى الأندلس جماعة من ثوار البربر وطلبوا من إخوانهم الثورة على العرب فى الأندلس يقول صاحب أخبار مجموعة : «فقضى أن برير الأندلس لما بلغهم ظهور بربر العُدوة على عربها وأهل الطاعة، وثبوا فى أقطار الأندلس» (*).

واضطر عبد الملك بن قطن إلى أن يسمح لبلج وأصحابه بالعبور إلى الأندلس لمساعدته فى القضاء على هذه الثورة وأشترط عليه العودة إلى بلاد المغرب بعد الانتهاء من مهمته، ونجح بلج وأصحابه من جند الشام وانزلوا بهم هزيمة ساحقة ، وبهذا النصر أصبح أهل الشام فى سعة من العيش بسبب الغنائم التى وقعت فى أيديهم ، فلما طلب منهم عبد الملك بن قطن العودة إلى المغرب رفض بلج وأعتبر نفسه الوالى الشرعى الذى يمثل جند الدولة الأموية، فثار على عبد الملك وخلعه عن الولاية وقتله مما أشعل الفتنة فى الأندلس (*).

وعلى أى حال فقد كان هذا الانقلاب بالنسبة للأندلس فاتحة عهد من الاضطراب والفتن والحروب الأهلية المتصلة ، وقد قدر للفتوحات الإسلامية العظيمة فى بلاد الغال أن تفتر بسبب هذه الفتن القبلية فى الأندلس فقد شغلت الناس عن متابعة أخبار الفاتحين عبر البرتات وإمدادهم بالمؤن والرجال. ولعل الموارد التى حصل عليها المجاهدون فى نربونة من إقليم الرون هى التى مكنتهم من الصمود طويلاً فصمدوا للحصار ، تحت قيادة عبد الرحمن ابن علقمة أمير نربونة الذى ظل يدافع عنها أثناء انشغال المسلمين بالأندلس بثورة البربر.

وقد قدر لعبد الرحمن بن علقمة والى نربونة أن يشارك فى هذه الأحداث الدامية، فقد ثار على بلج بن بشر فعبر إلى الأندلس بعد استنجاد ابنى عبد الملك به لأنه كان عامل أبيهم على أربونة، ولكن هذه الفتنة لم تنته بعد فأن أمية وقطن ابنى عبد الملك فرا إلى الشمال مستنجدين بالموالين لأبيهم وحشدا جموعهما فى[١٠٥] سرقسطة وانضم إليهما جماعة من الزعماء الذين أنكروا فعلة بلج بعبد الملك، وانقسمت الأندلس إلى معسكرين كبيرين، معسكر الشاميين المتغلبين على الحكم بقيادة بلج بن بشر القشيرى ، ومعسكر العرب والبربر الذين اعتبروا الشاميين دخلاء غاصبين، ونشبت بينهما معارك شديدة سنة ١٢٤هـ/ ٧٤٢م[١٠٦]. يقول صاحب أخبار مجموعة : «وأقبل معهم عبد الرحمن بن علقمة اللخمى صاحب أربونة- أى مع معسكر ابن عبد الملك- فأقبلوا فى مائة ألف أو يزيدون، راجعين إلى بلج وأصحابه بقرطبة .. فخرج إليه بلجُ فى أصحابه فقاتلهم .. إلا أن عبد الرحمن بن علقمة اللخمى- وكان يُعد فارس أهل الأندلس - قد قال لهم : أرونىْ بلجًا ، فوالله لأقتلنه أو لأموتن دونه .. فأشاروا له إليه وقالوا، : صاحب الفرس الأبيض ، فشد بخيل الثُغر فانفرج أهل الشام عن بلج والراية بيده، فضربه بالسيف على رأسه ضربتين أنتهت بمقتله »[١٠٧]، ونادى الشاميون بعد وفاة بلج بتولية ثعلبة بن سلامة العاملى اليمنى فى شوال سنة ١٢٤هـ / ٧٤٢م وحاول أن يقر الأوضاع بالأندلس ولكن سلطان الحكومة المركزية فى قرطبة كان قد ضعف وانقسمت الأندلس إلى مناطق عديدة للنفوذ وخصوصًا فى الأقاليم الوسطى والشمالية بين أمية وقطن

أبنى عبد الملك وعبد الرحمن بن حبيب الفهرى، وعبد الرحمن اللخمى حاكم أربونة (١٠٨).

وظهر بين الفريقين المتنافسين فى الأندلس جماعة من المعتدلين أحزنهم ما ترتب على هذه الفتنة وخشوا أن يغتنم مسيحيو الشمال والفرنجة فرصة الشقاق بين المسلمين فيعمدوا إلى توسيع حدود أقاليمهم فاتصلوا بوالى أفريقية حنظلة بن صفوان فأمره الخليفة هشام بن عبد الملك بتولية أبى الخطار حسام بن ضرار الكلبى(١٠٩) الذى قدم الأندلس فتتبع الزعماء الخارجين فعاد ثعلبة إلى إفريقية ، وأعلن أمية وقطن الطاعة له، أما عبد الرحمن بن حبيب فاستطاع الفرار إلى تونس وأما بن عبد الرحمن اللخمى فعاد إلى أربونه وظل مستقلاً بهذا الثغر يحكم فى أربونة وما جاورها (١١٠).

وكادت أمور الأندلس فى عهد أبى الخطار حسام بن ضرار الكلبى أن تستقر قليلا ولكن سرعان ما نشب الصراع بين القيسية واليمنية، فقد تسبب تشدد أبى الخطار مع القيسية فى إشعال الفتن مرة أخرى بالأندلس فأنتهت هذه المحنة بارتقاء يوسف بن عبد الرحمن الفهرى ولاية الأندلس سنة (١٢٩هـ- ١٣٨هـ) (١١١).

أما عن أوضاع أربونة . فقد ظل المسلمون يعانون طوال تلك المحنة من صراعات العرب فيما بينهم وصمدوا طويلاً لأطماع شارل مارتل المنتمرة والذى أدرك دور هذه القاعدة الإسلامية فى نشاط الفتوحات الإسلامية فى قلب أوربا بل إنها هددت ممتلكاته من خلال القواعد والحصون الإسلامية التى انتشرت فى قلب إقليم الرون، فهاجمها شارل أكثر من مرة وشدد عليها الحصار فلم يخرج بطائل لمناعة حصون هذه

القاعدة تحت قيادة واليها عبد الرحمن بن علقمة [١١٢]. وظهر أحد الزعماء ويدعى الكونت آنزيموند وهو من نبلاء القوط كان قد انتهز فرصة انشغال المسلمين في الفتنة التي اشتعلت بالأندلس وخروج عبد الرحمن ابن علقمة للمشاركة في هذه الأحداث استطاع أن يستولى على بعض قواعد سبتمانيا المسلمة وهى نيم وأجده وبزييه وما حولها وانشأ منها مملكة صغيرة والتف سكانها حوله ولكنه رأى أنه لايستطيع الاحتفاظ بمملكته الصغيرة والعرب ما زالوا على مقربة منه فى قاعدتهم الحصينة أربونة ومازالوا أقوياء يخشى بأسهم [١١٣]، كما أن هذا الأمير القوطى قد توجس شراً من جاره هونالد Hunald ابن أودو أمير أكويتانيا الذى حاول أن يعيد أمجاد أبيه ويريد توسيع ممتلكاته مستغلاً الحروب الدائرة بين المسلمين والفرنجة حول حوض الرون لذلك لجأ آنزيموند القوطى إلى الدخول تحت طاعة بيبن القصير [١١٤]، وبالرغم من هذا الحلف لم يستطع هؤلاء إخراج العرب من آربونة بفضل قوة واليها عبد الرحمن بن علقمة الذى تصدى لهم، ولكنه قام بثورة على والى الأندلس يوسف بن عبد الرحمن الفهرى الذى حاول أن يعيد جنوب غاليا إلى سيادة حكومة قرطبة المركزية فخرج ابن علقمة من أربونة وعبر البرنييه ولكنه اغتيل على يد أصحاب يوسف الفهرى قبل وصوله إلى الأندلس وذلك سنة ١٣٦هـ / ٧٥٣م [١١٥].

وأصبحت ولاية أربونة التى كانت أمنع قلاع المسلمين فيما وراء جبال البرنييه تابعة مباشرة للحكومة فى قرطبة بعدما أستقل بها ابن علقمة طوال هذه الفترة، فأرسل يوسف الفهرى ابنه محمد أبا الأسود وقائده سليمان بن شهب لحماية الحدود الشمالية ولصد هجمات آنزيموند

القوطى، وظل محمد بن يوسف الفهرى فى أربونة يقاوم محاولات بيبن القصير وآنزيموند لدخول أربونة حيث زحفا إليها وتم تطويقها بقوات كثيفة وضرب حولها الحصار الصارم منذ سنة ١٣٨هـ/ ٧٥٥م فدافع المسلمون عنها دفاعًا مستميتًا وجاءتها الإمدادات من جهة البحر، واضطر بيبن القصير أثناء هذا الحصار أن يرتد عنها بقسم من جيشه لمحاربة هونالد دوق أكويتانيا لقيامه بهجمات على الأراضى الفرنجية ومحاولة استعادة ممتلكاته من أيدى الفرنجة، وترك آنزيموند An-sumundus لمتابعة الحصار، ولكنه قتل أثناء ذلك تحت أسوار أربونة(١١٦).

ثم عاد بيبن لاستئناف الحصار وهاجم المدينة مراراً دون فائدة ، وظل مسلمو آربونة يقاومون تلك الهجمات بكل قوتهم منذ سنة ١٣٨هـ/ ٧٥٥م حتى سنة ١٤٢هـ/ ٧٥٩م وذلك طوال فترة الصراع الدائر فى الأندلس بين يوسف الفهرى وبين عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك الذى دخل الأندلس هربًا من العباسيين وأراد أن يعيد مجد أسرته مرة ثانية فى الأندلس بعيداً عن العباسيين وخلع طاعتهم (١١٨). فعمل القوط على إضرام الثورة داخل المدينة ثم انقضوا ذات يوم على حراسها المسلمين وقتلوهم وفتحوا أبوابها، فدخلها الفرنج وفتكوا بسكانها المسلمين وخربوا مساجدها ومعاهدها ودورها وذلك فى سنة ١٤٩هـ/ ٧٦٦م وسقطت بذلك آخر المعاقل الإسلامية فى غاليا فى يد النصارى وانهارت سيادة الإسلام فيما وراء جبال البرنييه (١١٩)، بعد أن استمرت هنالك زهاء نصف قرن وعادت قوى النصرانية فاحتشدت وراء تلك الجبال تتربص بالإسلام فى الأندلس (١٢٠).

ثالثًا : كيف عمل الولاة العرب فى هذه الفترة على تمصير جنوب غاليا وتطبيق المثل الإسلامية من التسامح والالتزام بالعهود وتخفيف العبء عن كاهل أهل البلاد :

دخل جنوب غاليا بعد الفتح الإسلامى فى دائرة النفوذ الأموى، وقد اتخذ العرب من نربونة قاعدة لهم ، وتولى أمرها عدد من الولاة المسلمين وقد عرفت هذه الفترة التى امتدت حوالى نصف قرن من الزمان بعصر الولاة كغيرها من الولايات المفتوحة ، وعصر الولاة دائما هو ميراث هذه التجربة المهمة فى الحياة الإسلامية. وتسمى هذه السياسة بسياسة التمصير أى تحويل هذه القاعدة إلى مصر إسلامى يستهدى الإسلام فى حياته وتقاليده ونظمه ، وهذه السياسة تقوم على أسس واضحة هى معاملة الداخلين فى الإسلام معاملة قوامها الإخاء والمساواة والحرية وأن يأخذوا نصيبهم الطبيعى فى حكم البلاد والاشتراك فى الحياة السياسية لأن العرب أثناء الفتح قد ارتبطوا بكل ناحية من نواحي الجنوب الفرنسى بمعاهدة خاصة وكلها اتفقت فى الروح والأسس (١٢١)- فكانت للدولة الأموية سياسة إدارية وإسلامية واقتصادية طبقت فى جميع الولايات المفتوحة وسنحاول أن نستعرض كل سياسة على حدة حتى نتعرف على مدى تطبيق هذه السياسة من خلال أسلوب الحكم الإسلامى لها.

١- التنظيم الإدارى :

كانت سياسة المسلمين منذ بداية الفتوحات تتسم بسعة الأفق والمرونة والعمل على استتباب الأمن وسير الأمور سيراً حسنًا فى البلاد المفتوحة

بما يحقق خير أهلها ومصالحهم لذلك لم يترددوا فى الاحتفاظ بالنظم الإدارية التى وجدوها فى البلاد المفتوحة . فاحتفظ العرب بالتقسيمات الإدارية السائدة فى أسبانيا وجنوب غاليا منذ أيام الرومان والقوط، وأصبحت الولاية الخامسة هى شمال جبال البرنييه شاملة لقاعدة نربونة وهى مركز الحكم ثم نيمة وقرقشونة وبزييه وأجده وماجويلون ولوديف[١٢٢] ، وقد ظل هذا التقسيم الإدارى ساريًا حتى عهد يوسف بن عبد الرحمن الفهرى الذى تولى أمر الإندلس «١٢٩-١٣٨هـ» فقد جعل هذه الولاية تابعة لحكومة قرطبة تبعية مركزية وخصوصًا بعد محاولة عبد الرحمن بن علقمة الاستقلال بها [١٢٣]. فقد كان للأندلس وجنوب غاليا وضع إدارى خاص بهما ، فقد اعتبرت قاعدة نربونة ثغراً للأندلس فيما وراء ألبرتات يخرجون منه للغزو والتوغل داخل أوربا الغربية، فأصبحت بذلك ثغراً مكملاً للأندلس [١٢٤].

وكان للخلافة الأموية أسلوب إدارى خاص فى حكم الأندلس وجنوب فرنسا يقوم على عدم المركزية لأن الخليفة الأموى فى دمشق لايستطيع السيطرة على دولة امتدت أطرافها إلى الأندلس وجنوب فرنسًا غربًا وإلى حدود الصين شرقًا لذلك أعطى الأمويون لولاة الأندلس سلطة مطلقة فى فرض الجزية والخراج والقضاء على الثوارات وتجنيد الجند، وبالتالى لم تكن الأندلس ولاية تابعة تمام التبعية للخلافة المركزية بدمشق مثل مصر والشمال الأفريقى، ولم تكن كذلك قطراً مستقلاً تمام الاستقلال لأنه أصبح تابعًا فى كثير من الأحيان لإفريقية ، وقد يكون هذا الحال هو الذى جعل الخليفة الأموى عمر بن عبد العزيز

«٩٩-١٠١هـ» يفكر في نقل العرب والمسلمين بالأندلس وجنوب غالبا إلى المغرب لبعدهما عن دار الخلافة ، يقول ابن عذارى «ولى أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز - السمح بن مالك على الأندلس- وكان رأيه نقل المسلمين منها وإخراجهم عنها لأنقطاعهم عن المسلمين واتصالهم بأعداء الله الكفار، فقيل له «إن الناس قد كثروا بها وانتشروا في أقطارها ، فأضرب عن ذلك»[١٢٥]. وبذلك أصبحت الأندلس ولاية شبه مستقلة.

واستتبع ذلك أن تعاقب على حكم الأندلس ونربونة في هذه الفترة عدد كبير من الولاة بعضهم تولى من قبل خلفاء المشرق مباشرة مثل السمح بن مالك فقد عينه عمر بن عبد العزيز يقول ابن عذارى «فانفرد السمح بولايتها - أي الأندلس- وعزلها عمر عن ولاية أفريقية اعتناءً بأهلها وتهممًا بشأنها » [١٢٦] ، وبعضهم تولى من قبل ولاة إفريقية مثل عنبسة ابن سحيم الكلبي فقد ولاه يزيد بن أبي مسلم عامل إفريقية[١٢٧] ، وحذيفة بن الأحوص ولاه عبيدة بن عبد الرحمن السلمي وولى أيضًا عثمان بن أبي نسعة الخثعمي، وأما عقبة بن الحجاج السلولي فقد ولاه على الأندلس عبيدالله بن الحبحاب عامل مصر وإفريقية ، وكذلك تولى أبي الخطار الحسام بن ضرار الكلبي الأندلس من قبل والي إفريقية والمغرب حنظلة بن صفوان [١٢٨].

وكان من عادة هؤلاء الولاة الخروج للجهاد وراء البرتات، فأذا عادوا إلى قرطبة كانوا يتركون نوابًا عنهم في حكم نربونة ومن أمثلة هؤلاء النواب عنبسة بن سحيم الكلبي وعبد الرحمن الغافقي، والهيثم بن عبيد

الكنانى وعذرة بن عبدالله الفهرى ، وعبد الملك بن قطن الفهرى، وعبد الرحمن بن علقمة[١٢٩] وفى كثير من الأحيان كان أهل نربونة يختارون من هؤلاء النواب أمراء عليهم وعرف هؤلاء الأمراء بولاة الثغور.

فالولايات الثغرية كانت لها وضع مختلف عن الولايات المدنية لأنها كانت تقوم بعبء الجهاد والرباط ومجاهدة العدو لذلك اتخذ هؤلاء الولاة أسلوب سياسى وإدارى أميل إلى التساهل مع سكان الثغور الأصليين طمعًا فى كسبهم إلى جانب المسلمين فلايعينون عليهم عدوهم . وكذلك حرص هؤلاء الولاء على أن يغدقوا بالأموال على الجنود المسلمين المرابطين هناك وذلك ضمانًا للاستقرار بها ويشجعوا هؤلاء الجنود على مواصلة الجهاد [١٣٠].

كذلك احتفظ العرب بغالبية الرجال القدامى من أهل البلاد الذين أظهروا حسن التعاون مع المسلمين وهى نفس السياسة العربية التى سار عليها العرب فى جميع الأمصار فى الوقت الذى احتفظوا لأنفسهم فيه بوظائف السلطة العليا كوظيفة الوالى وصاحب الشرطة والخراج والبريد والقاضى ومركز هؤلاء كان فى نربونة [١٣٠].

فقد ترك العرب لكل المدن والأقاليم التى خضعت لهم فى جنوب غالة حرية شرائعهم وأبقوا لهم قضاتهم، بل عينوا لهم حكامًا من أنفسهم يديرون المقاطعات ويجمعون الضرائب ويفصلون فى الأحكام وأعطوا لبعض الولايات حكم ذاتى تحت إشراف حكومة نربونة وخصوصًا فى إقليم لانجدوك وفى مدنه مثل بيزيه ونيم وماجلون وإقليم البروفانس فقد كان لكل منها كونتها الخاص وإدارة محلية خاصة بها [١٣٢]. مثلما

فعل السمح بن مالك بعد فتح نربونة وأقام بها حكومة إسلامية وترك لباقى المدن حرية الاحتكام إلى شرائعهم وولاتهم للكنيسة(١٣٣) واستمرت هذه السياسة فى عهد عنبسة بن سحيم الكلبى (١٠٣-١٠٧هـ / ٧٢١-٧٢٥م) الذى عقد المعاهدة مع أودو دوق أكويتانيا وترك له حكم اكوتيانيا ذاتيا مع الاعتراف بسيادة حكومة أربونة لذلك تركه أودو يتوغل مع نهر الرون حتى نهر السائون ودخل إقليم برجنديا بمساعدة منه والاتجاه صوب الشمال وحالف العرب وأصبح مواليًا لهم(١٣٤).

وفى عهد عبد الرحمن الغافقى الذى بدأ ولايته بزيارة الأقاليم المختلفة فى جنوب غاليا ونظم شئونها وقضى صدر ولايته فى إصلاح الإدارة ومعالجة ما سرى إليها فى عهد أسلافه من عوامل الاضطراب والخلل وعهد بأدارة الأقاليم إلى ذوى الكفاية والعدل بين المسلمين والغاليين مما ساعد على أن يسود النظام فى الإدارة ويتفرغ هو لمواصلة الجهاد(١٣٥).

ومن أشهر الأمثلة التى تدل على التعاون الوثيق بين أهل جنوب غالة والمسلمين الحلف الذى عقد بين عبد الملك بن قطن الفهرى «١١٤-١١٦هـ» فى ولايته الأولى وبين مورنتوس دوق مرسيليا فقد ترك له حكم إقليم بروفانس مع الاعتراف بسيادة المسلمين فى نربونة، وكذلك الحلف الذى عقد مع أسقف مدينة أوكسيسر وغيرها من مدن إقليم البروفانس(١٣٦) على أن يحكموا مدنهم كيفما شاءوا حتى يظلوا على ولائهم للمسلمين ، مما مهد للعرب السيطرة على حوض نهر الرون ومدن اللوار .

وهكذا استمر الولاة المسلمون فى جنوب غالة يحافظون على التقاليد القديمة فى نظم الحكم والإدارة التى وجدوها هناك فبالرغم من أن والى الأندلس كان يعتنى بتنظيم القضاء وهم الذين كانوا يعينون القضاة ، وكان هؤلاء القضاة يسمون قضاة الجند[١٣٧] إلا أنهم أبقوا شئون القضاء لأهل البلاد الغاليين فكان لهم الحق فى أن يحكموا أنفسهم بقوانينهم التى تعودوا أن ينظموا بها أنفسهم[١٣٨] وكان حاكم كل مدينة من مدن جنوب غاليا يقوم بالقضاء بينهم وينفذ الأحكام فيما عدا أحكام الإعدام إذ كان لابد من عرضها على الحاكم العربى المقيم فى كل مدينة [١٣٩].

ب- التسامح الدينى وأثره فى جذب أهل جنوب غاليا إلى الإسلام:

كان للمسلمين سياسة فى معاملة أبناء البلاد المفتوحة حتى يقبلوا على اعتناق الإسلام وهى المعاملة السمحة الكريمة التى عاملهم المسلمون بها والتى تضمنتها معاهدات الصلح التى نظمت العلاقة بين المسلمين الفاتحين وبين أبناء البلاد المفتوحة والتى التزم بها المسلمون التزامًا كاملاً وطبقوها بكل أمانة وإخلاص [١٤٠].

وقد وضحت جذور هذه السياسة الإسلامية منذ عهد الرسول الكريم ﷺ ثم طبقها الخلفاء الراشدون فى بلاد الشام ومصر ثم استكملها الأمويون وطبقوها فى بلاد المغرب والأندلس وجنوب غاليا [١٤١]، لذلك أبقى المسلمون للمسيحيين كافة فى الحقوق وضح ذلك منذ بداية استقرار العرب فى جنوب غاليا، فسياسة التسامح التى انتهجها المسلمون كان لها الأثر الكبير فى استقرار النفوذ الإسلامى فى جنوب غاليا بمعاونة أهلها ضد الفرنجة ووقف أطماعهم فى السيطرة على هذه البلاد ومحاولة القضاء على نفوذ المسلمين بها وقد ارتبط ولاة الأندلس بعد فتحهم جنوب غاليا بمعاهدات مع كل مدنها مع الالتزام بأحكام أهل الذمة من محاربة من حارب المسلمين ومسالمة من سالموهم .

وسنشهد روح هذه المعاملة من المعاهدات التى تمت بين الفاتحين وأهل إسبانيا مثل معاهدة تدمير مع عبد العزيز بن موسى بن نصير فقد أوردها الضبى فيقول «نسخة كتاب الصلح الذى كتبه عبد العزيز بن موسى لتدمير ابن غبدوش: - بسم الله الرحمن الرحيم من عبد العزيز

إلى تدمير «أنه نزل على الصلح وأنه له عهد الله وذمته أن لاينزع عنه ملكه ولاأحداً من النصارى عن أملاكه ، أنهم لايقتلون ولايسبون أولادهم ولانساءهم ولايكرهون على دينهم ولاتحرق كنائسهم ما تقيد وما نصح»(١٤٢).

وقد أشار د. حسين مؤنس أيضا إلى أن المسلمين عقدوا مع أهل قلمرية فى أقصى غربى الأندلس معاهدة من نفس هذا النبع السامى من احترام العقائد الدينية والمحافظة على أرواح وممتلكات أهل الذمة وقد لخص ما حددوه فى هذه المعاهدة على هذا النحو «أن يكون لأهل قلمرية الحق فى أن يحكموا أنفسهم بقوانينهم التى تعودوا أن ينظموا بها أموالهم قبل مجئ المسلمين وأن يكون لهم حاكم منهم يقوم بالقضاء بينهم وينفذ الأحكام فيما عدا أحكام الإعدام إذ كان لابد من عرضها على الحاكم العربى المقيم، وكان هذا العامل يقيم فى قلمرية ممثلاً لسلطان المسلمين ومعه حامية تؤيده وتحميه وتمنع النصارى من الانقضاض عليه» (١٤٣)، ونستشف من بنود هذه المعاهدات السابقة أنها كانت نفس بنود المعاهدات التى تمت بين المسلمين وأهل سبتمانيا والبروفانس ويذهب رينو إلى أن المسلمين فى جنوب غالة وسبتمانيا ارتبطوا بأهل البلاد بمعاهدات شبيهة بمعاهدة قلمرية، وعقدوا مع كل ناحية عقوداً تبيح لهم حريتهم فى كل شئ متضمنة نفس الحقوق والواجبات ومشترطة أداء الجزية والطاعة لولاة الأمور من المسلمين(١٤٤).

وضح ذلك منذ عهد السمح بن مالك الخولانى فقد أمره الخليفة عمر بن عبد العزيز «أن يحمل الناس على طريق الحق ولايعدل بهم عن منهج الرفق والقيام بالحق واتباع العدل والصدق »(١٤٥). فقد فرض الجزية على النصارى وترك لهم الحرية الدينية ووزع الأراضى بين العرب والسكان الغالبين وقد التف أهل جنوب غالة حول عنبسة بن سحيم الكلبى لتسامحه وقد فرضت الجزية على أهل نربونة وعلى المنطقة الواقعة فى حوض الرون كله ومدن اللوار وقد ظلت هذه السياسة معمولاً بها طوال فترة وجود المسلمين هناك ، يدل على هذا قول إيزيدور الباجى : «كان نجاح عنبسة راجعًا إلى الجرأة والبراعة أكثر منه إلى القوة والكثرة ، وكان لينه ورفقه وحسن معاملته للسكان عاملاً فى تقوية سلطان الإسلام فى جنوبى فرنسا »(١٤٦) وفى عهد عبد الرحمن الغافقى فى ولايته الثانية يقول ابن عبد الحكم : «كان عبد الرحمن الغافقى رجلاً صالحًا فغزا عبد الرحمن إفرنجة وهم اقاصى عدوة الأندلس ، فغنم غنائم كثيرة وظفر بهم»، ورد إلى النصارى كنائسهم وأملاكهم التى استولى عليها المسلمون وردها لهم طبقًا لنصوص المعاهدات وعدل نظام الضرائب ووزعها على الجميع بالعدل والمساواة (١٤٧).

وكذلك كان عقبة بن الحجاج السلولى «١١٦-١٢٣هـ / ٧٣٤-٧٤٠م» «صاحب بأس ونجدة ونكاية للعدو وشدة وكان إذا أسر الأسير لم يقتله حيث يعرض عليه دين الإسلام ويقبح له عبادة الأصنام فيذكر أنه أسلم على يديه ألف رجل»(١٤٨) فكان لسياسة التسامح التى اتبعها عقبة طوال فترة ولايته والتى استمرت حوالى ست سنوات أكبر

الأثر فى دخول هذا العدد الكبير من الأسرى فى جنوب غاليا فى الدين الإسلامى .

وعلى العموم امتدت مظاهر هذا التسامح فشملت الممتلكات فلم يمس المسلمون إلا ما كان يقع فى أيديهم كغنيمة وتركوا أهل جنوب غاليا أحراراً ينظمون أمورهم على النحو الذى أرادوه ما داموا على الطاعة وظلوا يفصلون فى قضاياهم وفقا للنظام القوطى لأن هذه المنطقة كانت من ممتلكات القوط، وظلت علاقة الناس بكنائسهم وقساوستهم على ما كانت عليه وتركوا لهم حرية المذاهب الدينية مثل الأرثوذكسية والكاثوليكية دون تدخل ، بل ترك العرب للجماعات النصرانية نشاطها المدنى الذى كانت جارية عليه أيام القوط ولم يعرضوا أيضا لنظام البلديات الذى وجدوه فى البلاد وتركت المدن كما كانت حرة تنظم أمورها كما يريد أهلها ما داموا تحت طاعة العرب(١٤٩)، وعلى الرغم من مبالغة بعض الروايات لمؤرخى فرنسا فى تصوير المسلمين جفاة غرضهم القتل والنهب إلا أن رينو قد أوضح أمر هذه الحقيقة بقوله : «ليس من شك فى أن المسلمين وجدوا من السكان بعض المقاومة ولكن المؤكد أن المسلمين لم يستعملوا هذا العنف فى البلدان التى أعلنت خضوعها من تلقاء نفسها »(١٥٠). وأيضا أرنولد فى كتاب الدعوة إلى الإسلام يقول: «إنه لم يسمع بأية وسيلة من الاضطهاد على الأقل فى هذا العصر الأول»(١٥١).

ومما يدل على مدى نجاح سياسة المسلمين المتسامحة مع أهل جنوب غاليا أنه لما جاء شارل لحصار نربونة وفشلت كل محاولاته للاستيلاء

عليها، اضطر إلى رفع الحصار والتقهقر إلى الشمال فقد وقف أهل غالة الجنوبية منه موقف العدو ولم يعينوه على ما طلب من إخراج المسلمين مما يدلنا على أن ما تذكره الروايات النصرانية عن مساوئهم فى النواحى التى دخلوها إن هى إلا مبالغات قساوسة ومزاعم رهبان نصارى فأراد شارل الانتقام من أهل غالة ليعزى نفسه عن فشله أمام حصون نربونة فعسفهم عسفًا شديداً وخرب حصون بيزييه، وأجده ونيمة فقد لقيت هذه المدن الويلات على يد شارل شيئًا كثيراً فهدمت أسوارها وأطلقت فيها النيران وفعل شارل مثل ذلك بمجلونة Magallona وكانت هذه المدينة زاهرة فى عهد المسلمين ومن القواعد المهمة وميناءً كبيراً . وعاد إلى الشمال ومعه كثير من أسرى المسلمين وعدد من كبار الغاليين أخذهم معه كرهائن ليضمن بهم إرغام أهل نواحيهم على التخلى عن عون العرب وهذا أكبر دليل على أن أهل غالة الجنوبية كانوا يفضلون المسلمين على الفرنجة لأن الفرنجة كانوا إذا ذاك أجلافًا قساة بعيدين عن أصول الحضارة الرومانية القديمة وكان سكان جنوب غاليا يدينون بعقيدة واحدة بل إنهم يرون لأنفسهم أملاً مشتركًا فى التخلص منهم [١٥٢]. وليس هناك أى وجه للمقارنة بينهم وبين المسلمين فى نواحى الحكم والتنظيم الذى وصل فى عهد الخلافة الأموية إلى حد منافسة الدول المعاصرة لها فى ذلك الوقت مثل «البيزنطيين» وأن المسلمين كانوا يحترمون الدين المسيحى وأصحابه ولم تمتد يدهم بالأذى إلى أموال الناس فيما دخلوه من البلاد إلا بقدر ما اضطرتهم إليها الضرورات العسكرية[١٥٣]، وهذا يفسر سر كراهية أهل غاليا الجنوبية للفرنجة.

أما العرب الذين اشتركوا فى فتح جنوب غاليا أو الذين هاجروا إليها بعد الفتح فقد انتشروا فى القاعدة الرئيسية نربونة وفى غيرها من مدن إقليم سبتمانيا مثل قرقشونة وماجلون مما أدى إلى إنشاء القرى والرباطات العسكرية على طول نهر الرون وكان حوض الرون كله تحت سيادة المسلمين. وكانت لكل قبيلة خطة خاصة تبنى بها مساكنها، وبذلك تتحول المدينة إلى معسكر مسلح يتجمع فيه المقاتلون ليخرجوا فى الغزوات والتوغل داخل ممتلكات الفرنجة- ويبدو أنه سيكون من الطبيعى بعد استقرار القبائل العربية فى سبتمانيا وغيرها من مدن جنوب غاليا أنهم التقوا بأهل هذه البلاد داخل أسوار هذه المدن واختلطوا بهم(١٥٤).

وكان من طبيعة العرب فى المدن التى استقروا فيها- «القديم منها والجديد» - يحيون حياة الجند ويتفرغون للجهاد ومعنى هذا أن الحياة المدنية لم تقم على أكتاف هؤلاء الجند فقط وإنما قامت على أكتاف جماعات من الصناع والحرفيين والتجار وفدت على المدن وأقامت فى ظواهرها تخدم الجند وتقضى حوائجهم واستلزم ذلك بناء المساجد والمعاهد والدور ثم بدأت القبائل العربية التى وفدت بعد ذلك تستقر خارج المدن وتتوغل فى الحياة الريفية وتملك الأرض خاصة الأراضى التى آلت ملكيتها للدولة فاستقروا بها وأصبحوا ملاك أرض. ومن الطبيعى أن ينتج جيل يتكلم العربية فى خلال الخمسين عامًا وهى الفترة التى استقر فيها العرب بجنوب غاليا ، لأن الهجرات العربية التى هاجرت بعد الفتح كانت من مختلف القبائل اليمنية والقيسية والبربر اشتركوا

بأعداد كبيرة فى الجيوش الفاتحة لهذه المنطقة، وأن أهلها من الغاليين أو القوط أو اليهود، اختلطوا بالمسلمين فتعلموا لغتهم وأسلوبهم فى الحياة[١٥٥] إذ يتطاحن شعبان غريبان بدافع من طبيعة الأشياء ، فيتبادل المنتصرون والمنهزمون الأفكار الجديدة والعادات والأخلاق واللغات والآداب لذلك كان يجب أن ينتج عن ذلك حياة داخلية نشيطة داخل هذه المدن فى جنوب غاليا وأن تظهر من الأجيال الأولى منهم المولدين الذين جاءوا من آباء عرب مسلمين وأمهات مسيحيات الذين يتكلمون اللغة العربية وأجادوا اللغات اللاتينية والقوطية .

فقد كان العرب لايحلون فى ناحية من نواحى جنوب غالة حتى تتصل العلاقات بينهم وبين من حولهم من أهل البلاد خاصة وأن العرب كانوا يعاهدونهم ويرتبطون معهم بأواصر القربى والمصاهرة. ولو طال الزمان بالعرب فى جنوب غاليا لتغيرت صورة أوربا الغربية وقد قال إدوارد جيبون «وامتد خط الظفر مدى ألف ميل من صخرة طارق إلى ضفاف اللوار .. وقد كان اقتحام هذه المسافة يحمل العرب إلى حدود بولونيا وربى اسكتلندا. فليس الراين بأمنع من النيل أو الفرات ، ولعل أسطولاً عربيًا كان يصل إلى مصب التيميز دون معركة بحرية ، بل ربما كانت أحكام القرآن تدرس الآن فى معاهد اكسفورد ، وربما كانت منابرها تؤيد لمحمد ﷺ صدق الوحى والرسالة»[١٥٦].

وهكذا كانت سياسة التسامح الدينى هى أعظم وسيلة إلى الإسلام بل كانت أبلغ وأكثر فاعلية من المعارك والقتال وقد اعترف المستشرقون كما رأينا- بأن العرب لم يرغموا أحداً على الدخول فى دينهم فى هذه البلاد بل احترموا عقائدهم وممتلكاتهم .

الأوضاع الاقتصادية :

الأحوال الاقتصادية دائما هى التفسير الحقيقى لما يعانيه أى مجتمع من الأزمات التى تهدد كيانه وتقلل من فرصه فى الصمود أمام أى تهديد يأتيه من الخارج ولم تكن أحوال جنوب غاليا أقل سوءاً من أحوالها السياسية، بل فيها التفسير الصحيح لما كان من انهيار سريع للمجتمع القوطى زمن الفتح العربى، فقد كان المجتمع فى السنوات السابقة على الفتح يفتقد عناصر التوازن الاقتصادى التى هى أساس أى استقرار وطمأنينة فقد كانت أغلب الأراضى فى أيدى قلة من الناس، فى أيدى الارستقراطية والإقطاعية التى تحالفت مع القوط لكى تحتفظ بأملاكها وتضاعف من امتيازاتها وكان رجال الدين بدورهم يملكون معظم الأراضى الخصبة من المنح والهبات التى كانت تمنح للكنائس[١٥٧] يقول المؤرخ Pfister «كانت الكنائس تأخذ ولاتعطى وكانت هذه المنح متعددة الأشكال ثروة عقارية أو إعفاء من المكوس بل أعطى لرجال الدين حق فرض الضرائب وكانت تهدد بالحرمان لكل من يتخلف عن الدفع»[١٥٨].

ولم يشهد المجتمع فى جنوب غاليا فى مستهل القرن الثامن الميلادى طبقة وسطى قوية مستقرة تكون قوام أى استقرار اقتصادى، فقد كانت هناك طبقة وسطى تتمثل فى الأحرار من من أهل المدن والتجار وأصحاب المزارع الصغيرة ولكنها كانت قليلة العدد تعيش تحت رحمة الأقوياء ، وكان هؤلاء الأحرار إما من الفرنجة الفاتحين أو الشعب المقهور الجلورومان وكان لكل منهم قانونه وشريعته وعرفت هذه الطبقة بالـ Coloni وهم نظريًا أحرار لكنهم مرتبطون بالأرض لايغادرونها إلا بموافقة

الملاك وإذا استطاعوا دفع ما عليهم من أموال لايطردون من الأرض فهم حالة وسط بين الحرية والرق [١٥٩].

وكانت الغالبية من الناس إما فلاحين يرتبطون بالأرض ويباعون معها أو عبيداً يعملون في ظروف صعبة ، فكان الأغنياء يقتنون العبيد بالآلاف ويعاملونهم معاملة جافة وأحيانا يفرض عليهم دفع الضرائب والرجل الحر إذا عجز عن دفع ديونه أو الضرائب المستحقة عليه يعاد عبداً [١٦٠] ، لذلك يئس هؤلاء العبيد وباتوا يترقبون ساعة الخلاص، فالاضطرابات التي شهدتها أرض غاليا منذ غارات الجرمان كانت كفيلة بالقضاء على أي استقرار اقتصادي إن وجد، فقد قضت الفتن التي اجتاحت البلاد في هذه الفترة على أية طمأنينة اقتصادية ، وانهارت فيها قواعد المجتمع الروماني القديم التي ظلت توجه الحياة الاقتصادية قرونًا عديدة فقضت عليها هذه الهجرات الجرمانية يقول المؤرخ (Joseph) ص (Callaghan [١٦١] «في القرون الأخيرة من تاريخ الإمبراطورية الرومانية انحطت التجارة والصناعة في غرب أوربا وساعدت غارات الجرمان على هذا الانحطاط» لذلك لم يستطع الضعفاء والفقراء الاعتماد على حماية الدولة الميروفنجية لهم فالتمسوا الحماية عند النبلاء وأصبحوا موالي لهم والتفوا حولهم سواء كانوا من رجال الملك أو من الدوقيات والكونتات ورجال القصر» [١٦٢] وهذا يفسر الأحوال الاقتصادية السائدة في جنوب غاليا عند بداية الفتح كانت الأوضاع فيها متردية فليست هناك حكومة مركزية مسئولة عن تنظيم الحياة الاقتصادية بها، وإنما الأفراد يلتفون حول الأقوى والأغنى حتى

يضمنوا معيشة آمنة ، ويبدو أن هذه الانقسامات السياسية وهذا الوضع الاقتصادى السائد فى جنوب غاليا استفاد منه العرب، فقد تعاون أهل البلاد معهم[١٦٣] لذلك ضمنوا النصر.

فالواقع التاريخى كان يشهد للفتوحات العربية أنها لم تكن فتحًا عسكريًا فحسب، بل كانت فتحًا دينيًا ولغويًا وثقافيًا تتغير مع أوضاع البلاد سياسيًا واقتصاديًا واجتماعيًا، لأن العرب كانت لهم سياسة واحدة متبعة فى تطبيق أحكام الإسلام فى المجال الاقتصادى وهى تخفيف عبء الضرائب إلى أبعد الحدود عن الطبقات الفقيرة المستضعفة على أن تتحمل الطبقات الغنية أكبر عبء ممكن وضح ذلك فى فرض الجزية[١٦٤] وهى أبرز الالتزامات التى فرضها الفاتحون المسلمون على المعاهدين من سكان جنوب غاليا النصارى ، فلم تزد هذه الجزية على دينارين ولم يقل مقدارها عن ١٢ درهمًا، وكان تتراوح قلة أو كثرة حسب مقدرة الشخص المالية، وقد فرضت على الرجال القادرين على حمل السلاح وأعفى منها رجال الدين والنساء والأطفال والمقعدين والمساكين والمرضى ، وفى كثير من الأحوال كان مقدار الجزية يجبى على اثنى عشر قسطًا بمعنى أن رقيق الحال كان يدفع درهمًا فى الشهر[١٦٥].

أما عن الخراج وملكية الأرض فهى مقابل الانتفاع بها وحيازتها فقد لوحظ أن الأرض كانت على نوعين: النوع الأول : الأراضى التى استولت عليها الدولة أرض الكنيسة أو التى تركها أصحابها وفروا من البلاد ، هذه الأرض كانت نظريًا ملكًا للدولة [١٦١]، ولكن الدولة لم تكن تحتفظ إلا بخمسها فقط والباقى توزعه على الجند سواء من العرب أو البربر

وكـان مـعظمـهـم من المتطوعين الذين لم تـفرض لهم أعطيـات مـن الدولة وإنما كانوا يستولون على ما يقع فى أيديهم من الغنائم وكـانت تكفيـهم تمامًـا فلم يفكروا فى مطالبـة الدولة بأعطيـات(١٦٧) وكـان الولاة لايطالبونهم بهذه الأموال فى كثير من الأحيان تشجيعًا لهم على مواصلة الجهاد والاستقرار بجنوب غاليا .

أما الجند الرسمى للدولة فكانوا أقلية(١٦٨) وهؤلاء كان يفرض لهم من الدولة العطاء ولعيـالهم مع إعطائهم الحق فى الحصول أيضـا على الغنائم الوفيرة أثناء الفتوح فى غاليا (١٦٩).

ولم يكن المهـاجرون من العرب(١٧٠) والبربر فى الحقيـقـة يحتـفظون بملكيـة الأرض إلا اسميًا ، فقد تركوها لفلاحيـها الأصليين من الغال الرومـان أو القوط نظير شطر من المحصول لايتجاوز الثلثين فى بعض الأحيان أو الثلاثة أخماس فى بعض الأحيان الأخرى حسب حالة الأرض، وكان هذا النظام يعرف بنظام المشاركة فى المحصول وقد أدخله العرب إلى إسـبـانيـا وجنوب فـرنسـا مـقـتـبـسين هذا النظام من الدولة البـيـزنطيـة(١٧١)، وكـان هذا هو الأسلوب الوحـيـد فى استـغـلال هذه الإقطاعات الواسعة ، كما وزعت الأرض على أهل البلاد الغـاليين الذين أسلمـوا وكـانوا يؤدون(١٧٢) عنهـا الخـراج . أمـا النوع الثـانى: فـهى الأراضى التى تركت لأصحابها الأصليين وهى غـالبية الأرض وهم الذين لم ينتزع منهم الأرض وفقًا للعهود والمواثيق التى تمت بين المسلمين وأهل البلاد من الغـاليين أو القوط وكـان هؤلاء الملاك يؤدن عنها الخراج الذى كـان يتـوقف على قـدرة الأرض على الإنتـاج ولـم يكن يتـجـاوز عـشـر

المحصول وكان الخراج يفرض بالتساوى على من يحوز الأرض مهما كان دينه أو لونه يتساوى فى ذلك المسلم والذمى ومثال على ذلك عندما أمر الخليفة عمر بن عبد العزيز السمح بن مالك «أن يحمل الناس على طريق الحق ولايعدل بهم عن منهج الرفق وأن يخمس ما غلب عليه من أرضها وعتادها (١٧٣) - فكأن العرب قد قاموا بتحرير جمهور الزراع من الإقطاعية القديمة وتملكوا الأرض وأصبح لهم حق التصرف فيها بنقل الحيازة عن طريق البيع والشراء وكان هذا فى الحياة الاقتصادية انقلابًا بعيد المدى فقضى على الإقطاعية وتحررت الطبقة الوسطى وارتفع شأن الطبقة المعدومة مما أدى إلى التعاون الوثيق بين أهل جنوب غاليا والمسلمين(١٧٤) والدليل على ذلك أن رينو قد ذكر أن أهل جنوب غاليا قد التفوا حول عنبسة لتسامحه وإعادته الحق إلى أصحابه (١٧٥). وأن عبد الرحمن الغافقى رد إلى النصارى كنائسهم وأملاكهم المغصوبة(١٧٦)، وعدل نظام الضرائب وفرضها على الجميع بالعدل والمساواة (١٧٦).

أما بالنسبة للتجارة فقد شهدت تغيراً ملحوظًا فى ظل الحكم الإسلامى فى إقليم سبتمانيا والبروفانس وأصبحت مدنها مثل نربونة وقرقشونة وماجلون ومارسيليا من أهم الموانئ ولعبوا دوراً مهمًا فى عودة النشاط التجارى ما بين الشرق والغرب يقول Lavisse : «إن الاتصالات مع الشرق لم تتوقف إطلاقًا بسبب الفتوح العربية بل نمت هذه التجارة» (١٧٧).

فقد طبق الولاة المسلمون فى جنوب غاليا سياسة الدولة الأموية فى الاهتمام بالتجارة وعملوا على توفير سبل الأمن والإشراف على طرق التجارة الداخلية والاهتمام بتخفيف الضرائب على التجارة الداخلية والخارجية وفرضت ضريبة واحدة هى ضريبة العشور[١٧٨] مما أدى إلى انتعاش اقتصادي فاستمرت حركة التجارة بين الأندلس وجنوب فرنسا وسلكت الطرق البرية التى اخترقت جبال البرنييه عن طريق المدخل المعروف بالأبواب الذى يدخل منه من الأندلس إلى بلاد الإفرنج وذلك من خلال ممر بيربنيان الذى كان فى كثير من الأحيان تخرج منه القوافل التجارية وتلتقى بموانئ جنوب فرنسا، إذا كانت برية[١٧٩] ، أما إن كانت بحرية فتصل السفن الآتية من الأندلس أو من المغرب حيث تفرغ الشحن التجارية بموانئ نربونة أو مارسيليا [١٨٠]، وكانت تصل إليهما السلع الشرقية مثل التوابل وورق البردى وزيت الزيتون وهذا الزيت كان سكان غرب أوربا يطهون به طعامهم ويستعملونه للمصابيح فى البيوت والكنائس لذلك كانوا يستوردون منه مقادير ضخمة من بلاد المغرب خاصة [١٨١]- وكانت مدينة نربونة أكبر هذه الأسواق لجلب الرقيق والفراء الذى كان يجلب إليها من بلاد الروس وكان اليهود يقومون بهذه التجارة [١٨٢]. أيضا كانت مدينة نيم أنشط هذه المدن ولكن مدينة أرل كانت أعظم سوق لمنتجات الشرق الأدنى وكانت هذه المتاجر تنزلها السفن عند مرسيليا ونربونة ثم توزع داخل بلاد الغال وأوروبا [*]. وقد لعب نهر الرون دوراً هامًا فى هذه التجارة الداخلية لأنه كان همزة الوصل ما بين شمال فرنسا وجنوبها وشرقها وغربها مما يوضح لنا أهمية هذه

المنطقة الحيوية للمسلمين، ومحاولة الفرنجة السيطرة على حوض الرون بأية وسيلة. ويصف ابن حوقل الطريق الذى يخرج من الأندلس حتى يصل إلى نربونة فيقول «وهناك طريق يخرج من الجنوب من الجزيرة الخضراء إلى مالقة ثم إلى قرطاجنة ثم لقنت إلى دانية ثم ينعطف من دانية إلى الشرق الأندلس إلى حصن قلبرة إلى بلنسية ثم إلى طركونة إلى برشلونة إلى أربونة على البحر الرومى وهو المتوسط»(١٨٣).

وكانت مدينة جيرونة Gerona(١٨٤) التى تقع فى أقصى الشمال الشرقى لأسبانيا تلعب دوراً مهمًا فى هذه التجارة . فإلى جانب أنها كانت مركزاً مهمًا لإمداد نربونة بما كانت تحتاجه من إمداد عسكرى إلا أنها كانت ثغراً تجاريًا هامًا تصل إليه القوافل التجارية البرية القادمة من الأندلس ثم تحمل على السفن وتخرج منها حتى تصل إلى موانئ جنوب غالة فى نربونة أو ماجلون(١٨٥) ومارسيليا . وكانت هذه الموانئ تصدر القمح وكلاب الصيد ومنتجات الفريزين التى كانت مطلوبة فى أسواق الشرق*.

وقد شارك المسلمون من أهل المغرب ومن بلاد الشام وكذلك اليهود فى إنعاش هذه التجارة ونقل هذه البضائع التى تأتى من الشرق وتذهب إلى المغرب أو إلى الأندلس(١٨٦) لذلك فشلت الدولة البيزنطية فى حربها الاقتصادية التى كانت قد شنتها على الدولة الأموية فى ذلك الوقت والتى قد فرضت حصاراً اقتصاديًا فى شرق البحر المتوسط حتى تعوق حركة التجارة أمام السفن الإسلامية ، وقد أتاح فتح المغرب والأندلس وجنوب غاليا فرصة انتعاش التجارة الأموية فى غرب البحر المتوسط.

ومما ساعد على زيادة هذا النشاط التجارى أن المدن الإيطالية مثل البندقية وجنوة بدأت تتصل بموانئ جنوب غاليا وشاركت فى نقل تجارة الشرق إلى الغرب والعكس [١٨٧]، وفى هذا رد على المؤرخ بيرين الذى رأى فى هذه الفتوحات الإسلامية التى وصلت إلى الأندلس وجنوب غاليا أنها قطعت طرق التجارة العالمية وقضت على الصناعة[١٨٨] ويعلق المؤرخ كالاهان على ذلك بقوله «ظلت الصلات الاقتصدية قائمة بين أسبانيا وفرنسا من جهة وبين شرق البحر المتوسط من جهة أخرى وأن المؤرخ البلجيكى هنرى بيرين الذى يرى أن الفتوح الإسلامية كانت السبب الرئيسى فى تدهور التجارة فى غرب أوربا وقطعت طرق التجارة وقضت على الصناعة وحطمت المدن، وأقصت طبقة التجار وأدى ذلك إلى اختفاء النقود كوسيلة للتبادل التجارى، وقليل من المؤرخين يقبل نظرية بيرين فى جملتها »[١٨٩].

وقد استمرت حركة النقل والتجارة فى ذلك الوقت أى منذ سنة ٨١ حتى ١٣٥هـ - ٧٠٠ / ٧٥٢م» - على الرغم من القيود الوقتية التى كانت قد فرضتها الدولة البيزنطية على التجارة العالمية- فى تدفقها عبر البحر المتوسط بين الشرق والغرب واستمر تدفق التجار السوريين والمشارقة عمومًا ببضائعهم على الأندلس وبلاد الغال وإيطاليا وشمال إفريقية بل إنهم توغلوا أكثر من ذى قبل داخل بلاد غرب أوربا خلال القرن السابع الميلادى وبداية الثامن الميلادى مما أدى إلى رخاء معظم البلاد التى تطل على ساحل البحر المتوسط[١٩٠].

ومما ساعد على انتعاش الوضع الاقتصادى فى جنوب غالة أن العرب عند بداية فتحهم لهذه البلاد استخدموا العملة السائدة فى غاليا وهى الصولدى الرومانى ، فقد كانت العملة المتداولة هى العملة الميروفنجية التى كانت واسعة الانتشار [١٩١]، فقد دأب الملوك الميروفنج على تقليد العملة الرومانية لفترة طويلة وقد ظلت هذه العملة قوية حتى بداية القرن السابع الميلادى[١٩٢] وعندما دب الضعف إلى هؤلاء الملوك وانتشرت الفوضى السياسية والإدارية فكان من الطبيعى أن يؤثر هذا على الناحية الاقتصادية فأصاب العملة بالضعف والانهيار، مما دعا بيبن الثانى إلى إلغاء العملة الميروفنجية الذهبية وأمر بسك عملات فضية[١٩٣] وهى العملات اللازمة للتعامل المحلى بصفة خاصة، أما العملة الذهبية التى كانت متداولة فقد قل سكها، وطرأ عليها التغيير طبقًا للأوضاع الاقتصادية فى بلاد الغال جميعًا فقد قل وزنها وقيمتها وأصبحت على شكل مثلث والتى يعادل الواحد منها ثلث صولدى رومانى، ووصل الأمر فى معظم الأحيان ، إلى أن تسك هذه العملة من الفضة وعليها طبقة أو طلاء بسيط من الذهب[١٩٤] مما يدل على مدى الانهيار الاقتصادى الذى أصاب البلاد قبل قدوم المسلمين، فلما وصلوا إلى جنوب غالة استخدموا هذه العملة وكانوا يدفعون ثمن السلع بها احترامًا للأوضاع الاقتصادية فى البلاد وتسامحًا منهم فى المعاملة- وإلى جانب هذه العملة الميروفنجية وصلت العملة البرونزية أو النحاسية التى كان قد سكها موسى بن نصير عند فتحه الأندلس بعد دخوله إلى طليطلة فهذه العملة كان عليها نقوش لاتينية تحمل عبارة التوحيد[١٩٥] لأن الدولة الأموية

فى ذلك الوقت كانت قد سمحت لحكام الأقاليم بضرب نقود نحاسية أو برونزية وفقًا لاحتياجات الولايات باعتبارها نقوداً مساعدة [١٩٦]، وذلك مما ساعد على إسقاط الحواجز والقيود على حركة التجارة بين إسبانيا وجنوب غالية .

وكان من الطبيعى بعد استقرار الفتوحات فى المغرب والأندلس وجنوب غالة أن تصل العملة الذهبية - أى الدينار الإسلامى إلى هذه الأسواق وأصبح هذا الدينار الذهبى موثوقا فيه لنقاوته وثبات وزنه وحل محل الدينار البيزنطى- منذ أن سك الخليفة الأموى عبد الملك بن مروان هذا الدينار سنة ٧٤هـ / ٦٩٣م وأصبح عملة رسمية متداولة فى جميع الولايات التابعة للخلافة الأموية[١٩٧] فوحدة العملة المتداولة تساعد على ازدهار الأحوال الاقتصادية وازدياد نشاط التجارة الداخلية والخارجية فتوطدت الصلات الاقتصادية بين الأقطار الإسلامية فى ظل الخلافة الأموية والتى لعبت دوراً حيويًا فى التجارة العالمية فى البحر المتوسط ونافست البيزنطيين فى هذه التجارة، يقول Lavisse « والنشاط التجارى لمدن بروفانس وسبتمانيا كانت تتحكم فيه كمية النقود الإيطالية أو العربية المتداولة»[١٩٨].

ويبدو أن الانتعاش الاقتصادى الذى شهده جنوب غالة من العوامل التى حفزت شارل واللومبارديين فى محاولة القبض على ناصية هذه التجارة المزدهرة بعد عودة النشاط إلى مدن الجنوب بعد أن دبت الحياة فيها مرة ثانية فى كل من نربونة ومارسيليا وماجلون وهذه المراكز التى كان لها دور فعال فى إنعاش التجارة داخل بلاد الغال طوال القرن

السادس وبداية السابع الميلادى كما ذكرت من قبل، وكان للفرنجة إطلالة على البحر المتوسط فكانت تصل إليهم تجارة الشرق ، ولعل هذا الأمر يفسر مدى انزعاج الفرنج فأسرعوا إلى القضاء على العرب فى جنوب غالة ليعيدوا سيطرتهم على هذه الموانئ الهامة ويتصلوا بعالم البحر المتوسط ثانية بعد أن شاع الاستقرار والطمأنينة بها فى ظل الحكم الإسلامى .

ونتيجة لما سبق رأينا أن سيادة الإسلام فيما وراء جبال ألبرتات قد انهارت بعد أن استمرت هنالك زهاء نصف قرن وعادت قوى النصرانية فاحتشدت وراء تلك الجبال تتربص بالإسلام فى الأندلس ، وأصبح الفرنجة بعد انتزاعهم النصر من العرب حجر عثرة فى سبيل أى زحف عربى فى هذه الجهات . فانحسر التيار الإسلامى إلى خلف ألبرتات ولما جاء عبد الرحمن الداخل كان قد تأخر زمانه .

فقد وطد الفرنجة أقدامهم فى فرنسا وظهرت الإمارات النصرانية خلف وأمام هذه الجبال وأمنت ظهرها واستداروا جميعًا نحو الجنوب الجنوب لانقسام العرب وانشغال عبد الرحمن بتوطيد ملكه . وكان وجود المسلمين فى جنوب فرنسا بمثابة الشرارة الأولى فى اندلاع الحروب الصليبية والتى ستظهر بصورة واضحة فيما بعد بعدة قرون .

وختامًا لعلنا نستشف أن الانقسام العربى كان دائما مبعثًا للكوارث والمحن وذلك منذ أمد بعيد.

الهوامش

١- ياقوت الحموى: معجم البلدان جـ١ ، ص٣٥٠ ، ويضيف الحميرى: «أربونة مدينة هى آخر ما كانت بأيدى المسلمين من مدن الأندلس وثغورها مما يلى بلاد الفرنجة » : الروض المعطار ص٢٤ .

٢- عبدالله عنان : دولة الإسلام فى الأندلس ٦٩، ص١٣٠ ، ١٣١ ، وعبد الرحمن الحجى: التاريخ الأندلسى ، ص١٧٨ ، ١٧٩ ، ٢٠٤ .

٣- البكرى : جغرافية الأندلس وأوربا تحقيق عبد الرحمن الحجى ص٥٩ ، ٦٦، وياقوت الحموى: معجم البلدان جـ١ ص٣٥٠ ، المقرى: نفح الطيب ص١٢٨ .

٤- البكرى : جغرافية الأندلس وأوربا ، تحقيق عبد الرحمن الحجى ص٦٠-٦٦ .

٥- ويقول البكرى : «وجبل ألبرت وهو الحاجز بين بلاد الإسلام وبلد غاليش ومبتدؤه من البحر القبلى المتوسط المجاور طَرْطُوشه، ومُنْتَهاه إلى البحر الغربى بين الأشْبُونه وجليقية ». كان العرب يسمون جبل ألبورتات ألبيرانه وكلمة البورتات مشتقة من الكلمة اللاتينية Portus وبالأسبانى Puetro البكرى : ص٨٥ ، والحميرى : الروض المعطار ، ص٣٣ ، ٢٤ ، وياقوت : معجم البلدان ، ج١ ، ص٣٥٠ ، وعبد الواحد المراكشى : المعجب فى تلخيص أخبار المغرب ص٢٩ .

٦- المقرى : نفح الطيب ج١ ص١٢٨ ، ١٢٩ ، ١٣٠ ، ١٣١ ، وعبد الرحمن الحجى: التاريخ الأندلسى ص٩٦، ١٧٨ ، ١٧٩ . رينو : الفتوحات الإسلامية فى فرنسا ، وإيطاليا وسويسرا فى القرون الثامن والتاسع والعاشر الميلادى ص١٠١ شكيب رسلان: تاريخ غزوات العرب ص١١٧ ، ١١٨ .

٧- المقرى : نفح الطيب ج١ ص١٣٠، ١٣١، والبكرى : جغرافية الأندلس وأوربا ص٦٧ ، وعبد الرحمن الحجى : التاريخ الأندلسى ص٩٦ ، عبد الله عنان : دولة الإسلام فى الأندلس ص٦٩ ، وشكيب أرسلان : تاريخ غزوات العرب ص١١٨ .

٨- رينو : الفتوحات الإسلامية ص٤٦ ، عبد الرحمن الحجى، التاريخ الأندلسى ص٨٧، وإبراهيم طرخان: المسلمون فى فرنسا وإيطاليا ص٦٦ مستخرج من حوليات كلية الآداب- جامعة القاهرة المجلد الثالث والعشرون ج٢ ديسمبر ١٩٦١م.

٩- رينو : الفتوحات الإسلامية ص٤٦ .

١٠- بلاد غاليا أو «الأرض الكبيرة» وصفها البكرى فقال «أنها فى وسط الإقليم الخامس وهواؤها غليظ لشدة بردها ومصيفها معتدل وهو بلد كثير الفاكهة غزير الأنهار منبعثة من ذوب الثلج ومدائنه متقنة الأسوار محكمة البناء وآخر حدودها بحر الشام وحده آخر البحر المحيط، البحر الشامى بقبليها والبحر المحيط بجوفيها ، ويتصل ببلاد رومة أيضا من ناحية الجوف بلاد الصقالبة بينهما شعراء ملتفة مسيرة الأيام الكثيرة ، ويتصل بالشرق أيضا بالصقالبة ويتصل بالغرب بالبشكنس ويتصل أيضا ببلاد بيوره «بلاد نافار أو نيرة» - وتتمادى إفرنجة فى الطول والعرض مسيرة شهرين مع غيرها من القبائل ، ويحجز بين بلاد إفرنجة وبلد الصقالبة فى الجوف والشرق الجبل المعترض بين البحرين فيتمادى بلد الإفرنج مع ساحل البحر القبلى الشامى حتى يلتصق بجزيرة رومة وبلد لنقبرذية ويتمادى مع الجبل المعترض فى الجوف إلى البحر المحيط ويتصل بالصقالبة بلاد المجوس المعروفين بالإنقليش » البكرى: جغرافية الأندلس وأوربا ص١٤٣ ، ١٤٤ ، ١٤٥ ،

والحميري : الروض ص٥٠ ، وعبد الواحد المراكشي : المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، ص٢٩ .

١١- وفي بلاد غاليا انقسمت السلطة بها بين ثلاث دول جرمانية ناشئة أولها: «دولة القوط الغربيين في منطقة الحدود بين غالة وإسبانيا وهي المنطقة المعروفة باسم سبتمانيا أو منطقة المدن السبعة وذلك بعد أن طردهم الفرنجة من أكويتانيا . والدولة الثانية هي دولة البرجنديين في حوض الرون ومنطقة سافوي، أقام البرجنديون دولتهم في جنوب غالة منذ أواخر القرن الخامس الميلادي وذلك بعد أن قضى عليهم الهون Huns وعلى دولتهم الأولى في قرمز (Worms) وماينز (Mayence) وسبير (Speyer) وكان ملك البرجنديين المشهور في نهاية ذلك القرن هو جند وباد (Gundobad) والدولة الثالثة التي سادت في غالية هي دولة الفرنجة (Franks) أعظم ممالك الجرمان على الإطلاق ومؤسس هذه الدولة كلوفس»، البكري: جغرافية الأندلس وأوربا ص١٣٧ ، ١٣٨ ، ١٤١ ، ود. إبراهيم طرخان: المسلمون في فرنسا وإيطاليا ص٥٨ ، كريستوفر دوسن : تكوين أوربا ص١١٥ ، ١١٦، ١١٧ ود. سعيد عاشور: أوربا العصور الوسطى ج١ ص٩٢ .

Pirenne : Mohammed and Charlemagne p. 142 , 143 .

١٢- فيشر : تاريخ أوربا ص١٥ ، ١٦ ، د. سعيد عاشور : أوربا في العصور الوسطى ج١، ص٧٥ ، ٧٩ ، ٨٤ الباز العريني : تاريخ أوربا ص٨١ ، ٨٢، ٨٣ .

١٣- فيشر : تاريخ أوربا ص١٧ ، ٣١ ، ٧١ ، ٧٢ ، الباز العريني : تاريخ أوربا ص١٣١ ، وسعيد عاشور : العصور الوسطى ج١، ص٩٥ .

١٤- وليم لانجر : موسوعة تاريخ العالم ج٢ ص٣٩٨ ، فيشر : تاريخ أوربا ص١٧ ، وص٣١ كريستوفر دوسن: تكوين أوربا ص١١٥، ١١٦، ١١٧ .

١٥- فيشر : تاريخ أوربا ص١٧ ، ٢٤ ، ود. سعيد عاشور : أوربا العصور الوسطى ج١ ص٩٥ ، ٩٦ . ود. إبراهيم طرخان : المسلمون في فرنسا وإيطاليا ص٥٨ ، د. أحمد إبراهيم الشعراوي: دراسات في تاريخ إسبانيا في العصور الوسطى ج١ ص١٤ ، ١٣ ، ٢١ .

١٦- يقول د. سعيد «إن حركة الفرنجة اختلفت كثيراً في طابعها عن الحركات التي قامت بها بقية الشعوب الجرمانية لأنها كانت حركة توسعية أكثر منها هجرة تتصف بطابع الغزو .. وذلك لأن بقية الشعوب الجرمانية كالقوط والوندال والبرجنديين تخلت عن مراكزها الأولى ومواطنها الأصلية وأخذت تجوس خلال الأقاليم الأوربية عدة سنوات حتى استقر كل منها وسط جزء من المحيط اللاتيني الغربي بعيدا عن موطنها الأول أما الفرنجة فإنهم لم يهاجروا ولم يتركوا موطنهم الأول عند الراين الأدنى وإنما أخذوا ينتشرون منه ويضيفون إليه إقليما بعد آخر دون أن يتخلوا عن مركزهم الأساسي أو يقطعوا صلتهم به وقد ترتب على ذلك احتفاظ الفرنجة بأصولهم وحضارتهم وحيويتهم الجرمانية في الوقت الذي ذابت بقية الشعوب الجرمانية في المحيط اللاتيني الذي استقرت وسطه بعد أن قطعت صلتها بمواطنها الأولى» د. سعيد عاشور : أوربا في العصور الوسطى ج١ ص٩٦ ، ٩٧ ، وانظر أيضا كرستوفر دوسن : تكوين أوربا ص١١١ . الباز العريني: أوربا ص٢٥٢ ، ص٢٥٣ .

١٧- يقول البكري: «وأول ملوكهم قلودية وهو أول من تنصر وكان مجوسيًا ، نصرته امرأته واسمها غُرطلة ..» جغرافية الأندلس وأوربا ص١٤١ ، والحميري : الروض ص٥٠ ، وقد تزوج كلوفيس من إحدى أميرات البيت

البرجندى وتدعى كلوتيلدا الكاثوليكية مما كان له أثر كبير فى اعتناق زوجها ورعاياه المسيحية على المذهب الكاثوليكى مما أدى إلى تحطم ما كان يفصل بين الجرمان والرومان من حاجز دينى- إبراهيم طرخان : المسلمون فى فرنسا وإيطاليا ص٥٨ - كريستوفر دوسن : تكوين أوربا ص١١٥، ١١٦ وليم لانجر: موسوعة العالم ج٢ ص٤٠٤ . الباز العرينى: أوربا ص٢٥١ .

١٨- وباعتناق الفرنجة المذهب الكاثوليكى نعموا برضا الكنيسة الكاثوليكية وتجنبوا بذلك جميع العقبات التى تعثر فيها القوط الشرقيون واللومبارديون أصحاب الأريوسية فى إيطاليا والقوط الغربيون- وهم كذلك أريوسيون- أثناء مقامهم حول تولوز بالجنوب الغربى من فرنسا وأثناء حكمهم إسبانيا قبل أن يتحولوا إلى الكاثوليكية- لذلك وقفت الكنيسة الكاثوليكية من الفرنجة موقف الحليف الصديق ولأن الملوك الميروفنجيين الأوائل اعتبروا أنفسهم- برغم أصلهم الجرمانى- ولاة ونوابًا عن الإمبراطورية البيزنطية فيما تحت أيديهم من البلاد بغرب أوربا، فتقبلوا ما أنعم به الأباطرة البيزنطيون عليهم من ألقاب ووظائف فخرية واستخدموا النقود الرومانية القديمة : لذلك اعتبرتهم الدولة البيزنطية كقوة حربية تابعة لها وإن الفرنجة أحبوا محاكاة الرومان فى التوسع والفتح - فيشر : تاريخ أوربا ص٧٠ ، ٧١ أحمد إبراهيم الشعراوى : دراسات فى تاريخ أسبانيا فى العصور الوسطى ج١ ص١٩ ، الباز العرينى : أوربا ص٢٥١ .

Christian Pfiester : Gaul under the Merovingion Franks , p. 147 .

١٩- كريستوفر دوسن: تكوين أوربا ص١٠٩ ، الباز العرينى : أوربا العصور الوسطى : ص١٢٠ ، ١٢١ ، ود. سعيد عاشور : أوربا العصور الوسطى ج١ ص١٠٠ .

٢٠- وليم لانجر : موسوعة تاريخ العالم ج٢ ص٤٠٤ ، ٤٠٥ ، ود. سعيد عاشور : أوربا العصور الوسطى ج١ ص١٠٠ .

٢١- البرجنديون جاءوا أصلا من إقليم الأودر- الفستولا ، تتبعوا نهر الماين حتى بلغوا نهر الراين ثم دخلوا غاليا بزعامة ملكهم جنديكار واستقر بهم المقام نهائيا باعتبارهم حلفاء للإمبراطورية الرومانية في برجنديا العليا (أي الأراضي التي تقع فيها ڤينا ، بيزانسون، جنيف ، أوتون وماسون- وقد استغل البرجنديون فرصة اشتراكهم مع الرومان والقوط الغربيين ضد الهون في موقعة تعرف بشالون سنة ٤٥١م وأخذوا يتوسعون سلميًا حتى انتشروا سنة ٤٦٨م في جميع الجهات الواقعة بين جبال الألب والرون ولم يحل دون وصولهم إلى شاطئ البحر المتوسط سوى غزو أيورك ملك القوط الغربيين لإقليم بروفانس ، فلم يكد ينتصف القرن الخامس حتى كانت الإمبراطورية الرومانية في الغرب قد مزقت إربا بضياع معظم أجزائها فالوندال انتزعوا ولاية إفريقية واحتل القوط الغربيون المنطقة الممتدة من نهر اللوار حتى مضيق جبل طارق، ومملكة البرجنديين في وادي الرون ووادي الساؤون، ودولة الفرنجة على الميز والموزل والراين الأدنى، وأخيراً تأتي صغرى هذه الممالك الرومانية وهي مملكة السويفي في الجهات المعروفة حاليا باسم البرتغال وغاليسيا مملكة أودواكر- زعيم بعض جموع الجرمان - في إيطاليا- وبعد ازدياد قوة الفرنج وتوسعهم استطاعوا أن يضموا برجنديا إلى ممتلكاتهم وامتدت مع نوستريا تحت زعامة ملك واحد » وليم لانجر : موسوعة تاريخ العالم ج٢ ص٣٩٨ ، ٤٤ ، سعيد عاشور : أوربا العصور الوسطى ج١ ص٩٢ ، ٩٣ ، ٩٥ ، والباز العريني : ص١٢١ ، ١٢٢ ، ١٢٣ .

٢٢- وليم لانجر : موسوعة العالم ج٢ ص٤٠٥ .

Lavisse : Histoire de France, p. 163 . vol . I .

٢٣- الباز العرينى : تاريخ أوربا ص١٢٥ .

Lavisse : Ibid, p. 258 .

٢٤- شكيب أرسلان : غزوات العرب ص٥٠ . ورينو : الفتوحات الإسلامية ص٤٦ ، والباز العرينى: تاريخ أوربا ص١٢٥ ، وإبراهيم طرخان: المسلمون فى فرنسا وإيطاليا ص٦٢ .

Rafael Altamira : The western Caliphete, Camb. Med. Hist. vol. II - chap- IV- p. 128 .

Lavisse: Ibid, p. 258 .

٢٥- بكسونيه أو بسكونى «بلاد البشكنس» وهى Vacconia أو (Basques) القديمة وقد كانت تشمل الرقعة الممتدة فى غرب البرنية بحذاء الشاطئ إلى شرق الاشتورياس وكانت أهم أجزائها فى ذلك العصر ولاية نافار التى يسميها العرب أحيانا نبرة «النابار» وربما أطلقوا هذا الاسم على البلاد الواقعة وراء البيرانه إلى جهة غاليا ، لأن أصل الأهالى واحد سواء فى السفح الجنوبى أو السفح الشمالى من البرانة أى جَبل ألبرتات - وكانت غسقونيا إمارة مستقلة يحكمها زعيم أو أمير قوطى وتشمل من مقاطعات إسبانيا الحديثة (بناطار وبسكايه (Vizacya) وكانت نافار أو نابارا تقع شرق مملكة ليون محاذية لجبال ألبرت (Pyrenees) التى تفصل بين إسبانيا وفرنسا » البكرى : جغرافية الأندلس وأوربا ص٧٩ ، شكيب أرسلان: غزوات العرب ١١٨ ، ١١٩ .

٢٦- Lavisse : Ibid, p. 258 .

* كرستوفر دون: تكوين أوربا ، ص٢٦٠ ، ٢٦١ ، الباز العرينى : أوربا ، ص٢٥٢- ص٢٥٣ .

وشكيب أرسلان : غزوات العرب ص٦٤ ، ٦٥ إبراهيم طرخان : المسلمون ص٦٢، ٦٣ .

٢٧- رينو : الفتوحات الإسلامية ص٤٦- شكيب أرسلان : تاريخ غزوات العرب ص٥٠ ، ٦٥ والباز العريني : أوربا ص٧٤ .

٢٨- يقول (Lavisse) «بعد وفاة بيبن الثانى كاد الأمن الذى استتب فى عهده أن يضيع بل كاد يضيع مستقبل أسرته زيضا فأولاده «ثيودوبالد» أرنول- وهوجو» كانوا مجرد أطفال وكانت أرملته بلكترود تحكم نوستريا وكذلك أوستراسيا ، ولكن نوستريا التى كانت يتولى حجابة قصرها ثيوديبالد لم تكف عن المطالبة باستقلالها واندلعت بها الثورة فى سنة ٧١٥م وهزم ثيوديبالد - لذلك لم يعد الأمر إذن يناسب حجاب القصر الأطفال فقد استبدله أهل نوستريا بآخر من عندهم اسمه راجنفريد الذى تحالف مع راد بود (Radbad) دوق الفريزيين وغزا أوستراسيا واحتل البلاد التى كانت تابعة للفرنجة وطرد القساوسة وخرب الكنائس وأقام الأصنام واختل أمر المملكة إلى أن ظهر شارل الابن الثالث لبيبن الثانى، فما كان من الأرملة بلكترود إلا أن ألقت به فى السجن واستطاع شارل الفرار من محبسه واجتمع حوله جماعة من أعظم نبلاء أوستراسيا ونجح فى الاستيلاء على أوستراسيا ونوستريا فأضطرت بلكترود إلى الاتفاق مع شارل وسلمت له خزائنها وقام شارل بتنصيب كلوثير الرابع ملكًا طبقًا للتقاليد الفرنجية».

Lavisse : Ibid . p. 258 , 259 , Altamira: Ibid , p. 128 .

وكريستوفر دوسن : تكوين أوربا ص٢٦٠ ، ٢٦١ .

٢٩- وليم لانجر : موسوعة تاريخ أوربا ج٢ ، ص٤٠٥ ، ٤٠٨ .

Lavisse : Ibid, p. 163-258 , Altamira: Ibid , p. 128 .

٣٠- فيشر : أوربا ص٧٤ ، ٧٥ ، ٧٦ .

Lavisse : Ibid, p. 257-258 .

٣١- عبدالله عنان : دولة الإسلام فى الأندلس ٧٩ ، ٨٠ ، ٩٣ رينو : الفتوحات الإسلامية ص٤٦ .

فيشر أوربا ص٧٤ ، ٧٥ .

Lavisse : Ibid, p. 258 Altamira : Ibid , p. 129 .

٣٢- رينو : الفتوحات الإسلامية ص٤٦ ، وعبدالله عنان : دولة الإسلام فى الأندلس ٨٠ ، ٩٣ .

ويعلق عبدالله عنان على هذا الوضع قائل : «وهكذا كانت مملكة الفرنج فى أوائل القرن الثامن الميلادى ، أعنى حينما انساب تيار الفتح الإسلامى إلى جنوب فرنسا ، وكان قد مضى منذ وفاة النبى ﷺ إلى عهد وصول العرب إلى جنوب غاليا حوالى مائة عام أو قرن من الزمان، وقد استطاع العرب خلال هذه الفترة افتتاح جميع الأمم الواقعة بين السند شرقا والمحيط غربا واكتسحوا العالم القديم فى فيض مدهش من الظفر الباهر، واستولوا على جميع أقطار الدولة الرومانية الجنوبية من الشام إلى أقاصى المغرب وأسبانيا وعبرو البرنية إلى أواسط فرنسا، هذا بينما انفقت القبائل الجرمانية الشمالية أكثر من ثلاثة قرون فى افتتاح اقطار الدولة الشمالية ومحاولة الاستقرار فيها، بينما قامت الدولة الإسلامية ثابتة وطيدة الدعائم وقامت فى جميع أقطار الخلافة حكومات محلية ومجتمعات إسلامية مستنيرة وجيوش قوية منظمة بينما ظلت باقى القبائل الجرمانية فى حال من التنقل والتفرق إذا استثنينا مملكة الفرنج التى واجهت هذه القبائل الوثنية لتنافسها

معًا وتفرق كلمتها »، عنان : دولة الإسلام فى الأندلس ص٩٤ ، د. حسين مؤنس : فجر الأندلس ص١٢٢ .

٣٣- رينو: الفتوحات الإسلامية ص٤٦ ، ٤٧ ، ٥٩ ، فيشر : تاريخ أوربا ص٧١ ، وشكيب أرسلان : غزوات العرب ص٥١ .

Christian Pfiester: Ibid , p. 150 .

يقول رينو «كان أغلبية سكان البروفانس واللانجدوك ينحدرون من أصل واحد أما السلطة والنفوذ فقد كانت فى يد الأقلية من القوط»، والدليل على هذا الصراع أن أمير بروفانس مورنتوس اتصل بالعرب وتعاون معهم لأنه كان يسعى لتوطيد سلطته واستقلاله بعيدا عن شارل مارتل وأودو » ص٥٩ .

٣٤- يقول الحميرى: « جزيرة صقلية فى قطعة من البحر الشامى بينها وبين أقرب بر من مالطة ثمانون ميلا ، افتتحها المسلمون فى صدر الإسلام وغزاها أسد بن الفرات الفقيه أميراً وقاضيا سنة اثنى عشرة ومائتين ففزع «فيمه» أو فيمى» البطريق النصرانى قائد صاحب صقلية إلى الأمير زيادة الله فعرض عليه أمر صقلية والظفر بها ، فولى زيادة الله أسد بن الفرات القاضى الفقيه على جيش إفريقية من قريش والعرب والبربر وغيرهم وأقره على القضاء مع القيادة، فخرج أسد فى جيش عظيم وجمع كثير وعدة كاملة فى شهر ربيع الأول من العام المذكور.. وهناك ظهر له جمع الروم فنازلهم فانهزم المشركون وأصيب لهم كراع وسلاح ولذلك سميت معركة بلاطة وهو اسم ملك النصارى، وبث السرايا فى جميع الجزيرة وكثرت المغانم عند المسلمين وصاروا فى رغد من العيش وسارع الناس إلى امدادهم من إفريقية والأندلس وحاصر أسد مدينة سرقوسة وقاتلهم برا وبحرا وأحرق مراكبهم وقتل جماعة من أهلها .. ومات أسد سنة ثلاث عشرة ومائتين وهو محاصر لسرقوسة»، الحميرى : الروض المعطار : ص٣٦٦، ٣٦٧ .

٣٥- د. حسن محمود : الإسلام فى حوض البحر المتوسط ص٦٥ ، ٦٦ .

٣٦- ابن القوطية : تاريخ افتتاح الأندلس ، ص٧٥ وابن الكردبوس : تاريخ الأندلس ووصفه لابن الشباط ص١٤٤، ١٥٠ ، ١٥١ ويقول ابن عذارى : (ولما التقى موسى بطارق وجرى له ما جرى، تقدم من طليطلة غازيا يفتح المدائن حتى دانت له الأندلس، وجاءه أهل جليقية يطلبون الصلح فصالحهم وفتح بلاد البشكنس وأوغل فى بلادهم ، وغزا بلاد الأفرنج ثم مال حتى انتهى إلى سرقسطة» ابن عذارى البيان ج٢١ ص١٦ ، ١٨ ، ١٩ ، ٢٢ ، ٢٥ ، المقرى: نفح الطيب فى غصن الأندلس الرطيب ج١ ص١٧٤ ، ١٧٥ ، وحسين مؤنس : فجر الأندلس ص١٠٢، ١٠٦ .

٣٧- ابن القوطية : تاريخ افتتاح الأندلس ص٧٥، والحميرى : الروض المعطار ص٥٠ وابن الكردبوس : تاريخ الأندلس ص١٥٧ .

Becker : The expansion of the Saracens in Africa and Europe. Cam . Med . Hist. vol 2- p. 373, 374 .

يقول البكرى «والأندلس دار جهاد وموطن رباط قد أحاط بشرقها وشمالها، وبعض غربها أصناف أهل الكفر وروى عن عثمان بن عفان رضى الله عنه أنه كتب يقول «أما بعد فإن القسطنينية إنما تفتح من قبل الأندلس وإنكم إن استفتحتموها كنتم شركاء من يفتحها فى الأجر» البكرى : جغرافية الأندلس وأوربا ص١٣٠ .

٣٨- ابن عذارى : البيان ج٢ ص١٦ ، ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩ ابن الكردبوس: تاريخ الأندلس ص١٥٧ (بعودة القائد موسى بن نصير وطارق بن زياد إلى الشام يبدأ فى الأندلس ما يعرف بعهد الولاة (٩٥-١٣٨هـ /

٧١٤-٧٥٥م) وقد استغرق عهد الولاة بالأندلس حوالى ٤٢ سنة تولى حكم الأندلس خلال هذه الفترة بعد موسى بن نصير وطارق عشرون واليا حكم اثنان منهم مرتين هما عبد الرحمن الغافقى وعبدالملك بن قطن الفهرى، يقول ابن عذارى : «لما قفل موسى بن نصير ، استخلف ابنه عبد العزيز على الأندلس فضبط سلطانها وسد ثغورها وافتتح مدائن كثيرة وكان من خيرة الولاة» ، مجهول : أخبار مجموعة ص٢٨، وابن عذارى البيان ج٢ ص٢٤ .

وعبد الرحمن الحجى: التاريخ الأندلسى ص١٢٦ ، ١٢٧ ، ورينو : الفتوحات الإسلامية ص ٤٢ ، ٤٣ ، وحسين مؤنس : فجر الأندلس ص١٠٢ ، ١٠٦ .

٣٩- قال الضبى فى بغية الملتمس : «هو تدمير بن غبدوش أو غوبادوش أو جوبادوش Gabados وهذا الاسم يرجع إلى اسم Ergobados وهو من أسماء القوط المشهورة المتداولة . الضبى: بغية الملتمس ص٢٦٩ ، ٣٣٧ ، ٤٠٠ وأخبار مجموعة : ص١٣ ، ٢٨ وابن عذارى : البيان ج٢ ص١١ ، ١٢ ، وحسين مؤنس : فجر الأندلس ، ص١٠٦ .

٤٠- يقول ابن عذارى : «تدمير وهى مُرسية ، وإنما سميت تدمير باسم العلج صاحبها وكان اسمها أوريولة وهى كانت مدينتها القديمة فقاتل العلج تدمير المسلمين قتالاً شديداً وكان فى قوة ثم انهزم فى فحص لايسترهم شئ فوضع المسلمون فيهم السلاح حتى أفنوهم ولجأ من بقى منهم إلى مدينة أريولة وكان تدمير بصيرا بأبواب الحرب فلما رأى قلة من معه من أصحابه ، أمر النساء فنشرن شعورهن وأعطاهن القصب ووقفن على سور المدينة ووقف معهم بقية الرجال ثم قصد بنفسه إلى جيش المسلمين كهيئة الرسول واستأمن فأمن وانعقد الصلح ولأهل بلده فافتتحت مدينة تدمير صلحًا ، فلما انعقد الصلح ، أبرز لهم نفسه وقال أنا تدمير صاحب المدينة ثم أدخلهم البلد» ابن

عذارى : البيان ج٢ ص٢٣ ، ٢٤ ، ويعلق د. حسين مؤنس على ذلك بقوله « ليس من المعقول أن تدمير سلم دون مقاومة أصلا ، لأنه لو كان فعل ذلك لما حرص المسلمون على إعطائه شروطا خاصة عندما أرسل طارق بن زياد جيشا إليه ليفتح هذا الإقليم ، وكل ما نستطيع قوله هو أن تدمير كان صديقا للمسلمين من أول الأمر لأنه كان من أنصار غيطشة الكارهين للزريق وأمره ، وربما حسب أن المسلمين تاركوه وشأنه وربما يكون قد تفاهم مع موسى أو طارق على شئ من ذلك ، فلما وجد عبد العزيز يسير إليه ويقترب من بلاده أبدى من المقاومة ولكنه أقبل يفاوض المسلمين فى شروط التسليم لما وجد منهم القبول بأن يكون له الاستقلال الاسمى وأن يكون تابعا لهم ، وكانت شروط هذه المعاهدة التى تمت بين تدمير وعبد العزيز بن موسى بن نصير لاتختلف فى كثير من معاهدات الفتح الكثيرة التى عقدها المسلمون فى ذلك العصر » د. حسين مؤنس : فجر الأندلس ص١١٢ ، ١١٣ ، ١١٤ ، ١١٥ .

٤١- ابن عذارى : البيان ج٢ ص٢٥ وكانت ولاية أيوب بن حبيب - ستة أشهر) .

٤٢- التف حول الكونت أودو القوط والبشكنس « النافاريون » لذلك طمع فى أن ينتزع ملك الفرنجة أو ملك أسرته وأخذ يعد العدة لقتال شارل مارتيل المتغلب عليه ولكنه اضطر إلى أن يشتغل عن مشروعه برد خطر العرب الداهم من الجنوب . عبدالله عنان : دولة الإسلام فى الأندلس ص٨٠ .

Lavisse : vol . II, p. 258 .

٤٣- ابن عذارى : البيان ج٢ ص٢ يقول ابن عذرى : « فوجه محمد بن يزيد الحُرُّ بن عبد الرحمن هذا عاملا على الأندلس ، فى أربعمائة رجل من وجوه

إفريقية فبقى الحُرُّ واليا عليها ثلاث سنوات فنقل الحُرُّ هذا الإمارة من أشبيلية إلى قرطبة وكان قدوم الحُرُّ الأندلس سنة ٩٩ من الهجرة ».

Lavisse : Ibid . vol -0 III, p. 260 .

٤٤- عرف البكرى «اسم غاليا بغاليوش أى بلاد الغال وهى تمثل قسما كبيرا من فرنسا أو جنوبها أحيانا ، البكرى: جغرافية الأندلس وأوربا ص٥٩ والمصادر العربية الأخرى مثل ابن عذارى يعرف أهل غاليا مرة بالفرنج ومرة أخرى بالروم ج٢ ص٢٦ ، وعرفت بلاد الغال أيضا بالأرض الكبيرة- ابن الكردبوس : تاريخ الأندلس ص٧١ .

٤٥- رينو : الفتوحات الإسلامية ص٤٥ ، عبد الرحمن الحجى، تاريخ الأندلس ص٢٠٨ .

Lavisse : Ibid, vol I, p. 260 .

٤٦- رينو الفتوحات الإسلامية ص٤٥ ، ٥٠ ، ٥١ .

Lavisse : Ibid, p. 260 .

٤٧- يقول ابن عذارى : « ثم ولى أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز السمح بن مالك على الأندلس، وأمره أن يحمل الناس على طريق الحق، ولايعدل بهم عن منهج الرفق وأن يخمس ما غلب عليه من أرضها وعقارها ، فقدم السمح الأندلس وامتثل لما أمره به عمر من القيام بالحق واتباع العدل والصدق فانفرد السمح بولايتها وعزلها عن ولاية إفريقية اعتناء بأهلها وتهمما بشأنها » ابن عذارى البيان ج٢ ص٢٦ ، والمقرى: نفح الطيب ج٢ ص٢٣٥ .

٤٨- رينو : الفتوحات ص٥٠ ، عبدالله عنان : دولة الإسلام فى الأندلس ص٨٠ ، إبراهيم طرخان المسلمون فى فرنسا وإيطاليا ص٦٥ ، ص٦٦ وشكيب أرسلان : غزوات المسلمين ص٧١ .

٤٩- رينو : الفتوحات الإسلامية ص٥٢ و

Becker : Ibid, p. 374 , Lavisse : Ibid, p. 260 .

عبد الرحمن الحجى : التاريخ الأندلسى ص٢٠٨ ، عبدالله عنان : دولة الإسلام في الأندلس ص٨٠، ٨١ .

٥٠- رينو الفتوحات ص٥٠ ، ٥١ شكيب أرسلان : غزوات المسلمين ص٧١ ، إبراهيم طرخان : المسلمون في فرنسا وريطاليا ص٦٦ ، ٦٧ ويذكر د. إبراهيم طرخان أنه لايزال إلى اليوم هناك شارع بنربونه يعرف باشم شارع السمح Rue de Zama .

٥١- ابن عذارى : البيان ج٢ ص٢٦ ، ٢٧ ، مجهول : أخبار مجموعة ص٣٠ ، ص٣١ ، يقول ابن عذارى «وقتل السمح بطرسونة وذلك أنه غزا الروم فى سنة ١٠٢هـ فاستشهد يوم عرفة» وهذه المعركة التى دارت بين السمح والفرنجة عرفت بموقعة طولوشة أو طرسونه ويبدو أنه قد حدث تحريف أو سوء نقل جرى أثناء النسخ من طرسكونه (جنوب غاليا الفرنجية إلى طرسونه (شمال شرقى سرقسطة بالأندلس) ويقول د. الحجى: «ربما كانت أربونة تابعة لطرسونة إداريًا ، فطرسونة كما قال الحميرى: «كانت مستقر العمال والقواد بالثغور وكانت ترد على واليها عشر مدينة أربونة وبرشلونة» وقد بلغ من شدة هذه المعركة أن رجال الدين المسيحى قد أثاروا حماس مواطنيهم ضد المسلمين ويقال إنهم حجبوا مواطنيهم هذه الأحجبة لم يقتلوا فى هذه المعركة، ويبدو لنا من هذا النص مدى شراسة القتال بين الطرفين لدرجة أن البابا أوهمهم بحمايتهم عن طريق هذه الخرافات . وكانت هذه الموقعة مهمة بالنسبة للعرب لأنهم كانوا يستطيعون من خلالها التحكم فى وادى نهر الجارون وفى الحدود الشمالية لمقاطعة غسقونيا ، عبد الرحمن الحجى:

التاريخ الأندلسى ص١٨٦ ، وشكيب أرسلان : غزوات العرب ص١٣ .

Henri Pierenne : Mohammed and charlemagne, p. 156 , Becker: Ibid, p. 374 .

٥٢- ابن عذارى : البيان ج٢ ص٢٦ ، المقرى : نفح الطيب ج١ تحقيق إحسان عباس ص٢٣٥ ، يقول ابن عذارى: « ثم قدَّم أهل الأندلس على أنفسهم عبد الرحمن بن عبدالله الغافقى هذا ، فدخلها فى شهر ذى الحجة سنة ١٠٢هـ» ص٢٦ .

٥٣- المقرى : نفح الطيب جـ١ ص٢٣٥ ، مجهول أخبار مجموعة ص٣١ ، عبد الرحمن الحجى: التاريخ الأندلسى ص١٨٦ ، ود. حسين مؤنس : فجر الأندلس ص٢٤٦ ، ٢٤٧ .

٥٤- رينو: الفتوحات الإسلامية ص٥٤ ، ٥٥ شكيب أرسلان : تاريخ غزوات العرب ص٦١ ، إبراهيم طرخان : المسلمون فى فرنسا ص٧٨ وعبد الرحمن الحجى: التاريخ الأندلسى ص١٩٠ ، حسين مؤنس : فجر الأندلس ص٢٤٦ ، ٢٤٧ .

Lavisse : Ibid, p. 260 .

٥٥- رينو : الفتوحات الإسلامية ص٥٤ ، ٥٥ ، ٥٦ شكيب أرسلان : تاريخ غزوات العرب ص٧٥ ، ٧٦ و١١٠ ، «اعتقد المؤرخون المعاصرون أن الذين دخلوا الدير أثناء صلاة هذا القديس هم العرب وإن هذا اليوم وافق عيدا للغزاة فأخذوا يقدمون القرابين ويشربون ويعربدون ويقول رينو إنه بالرغم من أن العرب فتحوا هذه المناطق فإن هذه العصابة لم تكن من المسلمين بل كانوا من البرابرة الشماليين الذين كانوا دائمى الاغارة على هذه المناطق وكانوا

على الوثنية لذلك اختلط الأمر على مؤرخى هذه الفترة فألصقوها بالعرب المسلمين» . إبراهيم طرخان: المسلمون فى فرنسا ص٦٨ ، ٦٩ .

Lavisse : Ibid , p. 126 .

٥٦- ابن الأثير : الكامل ج٤ ص١٩٧ . وإبراهيم طرخان : المسلمون فى فرنسا ص٦٨، وعبد الرحمن الحجى: التاريخ الأندلسى ص١٩٠، أرسلان:ص٧٨ .

٥٧- إبراهيم طرخان : المسلمون في فرنسا ص٦٩ ، د. حسين مؤنس: فجر الأندلس ص٢٤٧ . Pirenne : Ibid , p. 156.

٥٨- يقول ابن عذارى «وفى سنة ١٠٥ ، خرج عنبسة غازيا للروم بالأندلس، وأهلها يؤمئذ خيار فضلاء ، أهل نية فى الجهاد وحسبة فى الثواب فألح على الروم فى القتال والحصار حتى صالحوه وتوفى عنبسة فى شعبان سنة ١٠٧ هـ » ابن عذارى ج٢ ، ص٢٧ ، Lavisse : Ibid, p. 260.

٥٩- إبراهيم طرخان : المسلمون فى فرنسا ص٦٩ ، عبدالله عنان : دولة الإسلام فى الأندلس ص٨٠، ٨١ . ديجون قاعدة بلاد برجنديا على مسافة ٣١٥كم من الجنوب الشرقى من باريس - أرسلان :ص٧٩ .

٦٠- إبراهيم طرخان : المسلمون فى فرنسا ص٦٩، د. حسين مؤنس : فجر الأندلس ص٢٤٧ ، أوتون على مسافة ١٠٦ كم إلى الشمال الغربى من ماسون أرسلان: ص٧٨ ، Pirenne : Ibid, p. 156 .

٦١- كانت مدينة ساس عاصمة إقليم يوند Yonnd ، وهذه المدينة تقع جنوب باريس د. حسين مؤنس: فجر الأندلس ص٢٤٧ ، وإبراهيم طرخان : المسلمون فى فرنسا ص٦٩ .

٦٢- Lavisse : Ibid , p. 260 .

٦٣- المقرى : نفح الطيب جـ١ ، ص٢٣٥ ، وابن الأثير الكامل، ج٤ ص٢٠٢ .

Lavisse: Ibid, p. 260 .

٦٤- حسين مؤنس : فجر الأندلس ، ص٢٤٧ ، إبراهيم طرخان : المسلمون فى فرنسا ص٦٩ .

٦٥- ابن عذارى : البيان جـ٢ ، ص٢٧ ، والمقرى : نفح الطيب ج١ ص٢٣٥ ، يقول ابن عذارى: « وذلك أنه لما توفى عنبسه ، قدم أهل الأندلس على أنفسهم رجلا من العرب يقال له عذرة، إلى أن ورد بعد شهرين يحيى بن سلمة الكلبى واليًا من عند أمير المؤمنين هشام بن عبدالملك فى آخر سنة ١٠٩هـ ، فكانت ولايته سنتين وستة أشهر » ويبدو أن والى الأندلس الذى عينه هشام بن عبدالملك قد أقر عذره على نربونة كنائب عنه وتولى هو أمر الأندلس حتى آخر عام سنة ١٠٩هـ ثم عزل فتولى أمر الأندلس حذيفة بن الأحوص الأشجعى الذى لم يمكث فى الولاية سوى ستة أشهر ، ثم تولى أمر الأندلس عثمان بن أبى نسعة الخثعمى سنة ١١٠هـ وهو الذى كان متولى أمر مدينة بويسرده على الحدود ما بين جنوب غالة وشمال إسبانيا فرأى فى نفسه الدراية والخبرة بهذه المنطقة وما يدور فيها ، لذلك كان يطمع فى ولاية نربونة لكنه عزل وتولى بدلا منه الهيثم بن عبيد الكنانى لذلك رفض عثمان بن أبى نسعة أن يبايع الوالى الجديد، وخرج عن طاعة الحكومة فى قرطبة واستقل بما تحت يديه فى هذه الولاية الشمالية، وهذا ما دعا الهيثم إلى أن يقوم بغزو هذه الولاية لتأديب صاحبها لمحاولته الاستقلال بهذه المنطقة الحيوية.

ابن عذارى البيان ج٢ ص٢٧ ، مجهول أخبار مجموعة ص٣١ ، ٤٩ ، والمقرى : نفح الطيب ج١ ص٢٣٥، ٢٣٦ ، ٢٣٧ ، شكيب أرسلان : غزوات العرب ص٩٨ ، رينو : الفتوحات ص٦٢ ، ٦٣ .

٦٦- رينو : الفتوحات ص٥٤ ، ٥٥ ، شكيب أرسلان : غزوات العرب ص٧٤، ٧٨ ، ٧٩ عبدالله عنان: دولة الإسلام في الأندلس ، إبراهيم طرخان : المسلمون في فرنسا ص٦٩ ، ٧٠ ،

Lavisse : Ibid ,p. 259 .

٦٧- ابن عذاري : البيان ج٢ ص٢٨ ، المقري : نفح الطيب ج١ ص٢٣٥ ، وابن الأثير: «الكامل في التاريخ ج٤ ص٢٠١ ، ٢٠٢ ، ٢٠٧ ومجهول : أخبار مجموعة ص٣١ يقول ابن عذاري: « ثم ولي الأندلس الهيثم بن عبيد الكناني في صدر سنة ١١١هـ وكانت ولايته عشرة أشهر، وقيل غير ذلك وهو الذي غزا منوسة وأقام واليا عشرة أشهر كما ذكرنا وقيل سنة وشهرين» ابن عذاري ج٢ ص٢٨ .

٦٨- ابن عذاري : البيان ج٢ ، ص٢٨ ، مجهول : أخبار مجموعة ص٣١ ، والمقري: نفح الطيب ج١ ص٢٣٥ ، وابن الأثير : الكامل ج٤ ، ص٢٠٧ .

٦٩- المقري: نفح الطيب ج١ ص٢٣٦ ، أخبار مجموعة : ص٣١ ، وابن عذاري: البيان ج٢ ص٢٨ ، وابن الأثير : الكامل ج٤ ص٢١٤ ، رينو الفتوحات ص٦٠ ، ٦١ ، عبدالله عنان: دولة الإسلام في الأندلس ص٨٨ ، ٨٩ .

٧٠- ابن الأثير : الكامل ج٤ ص٢١٤ ، ٢١٥ ، المقري : نفح الطيب ج١ ص٢٣٥ ، ص٢٣٧ وابن عذاري : البيان ج٢ ص٢٨ ، وهنا أميل إلى الرأي القائل بأن عثمان بن أبي نسعة هو نفسه مونوسة لأن ذلك يتوافق مع السرد التاريخي لهذه الفترة في معظم مصادرنا العربية والتي تذكر أن عثمان بن أبي نسعة تولى ولاية في الشمال في نفس العام الذي ذكروه عن ولاية منوسة وبالتالي نقل عنهم أغلب المراجع الغربية فنقلوا الاسم محرفًا – عن

عثمان بن أبى تسعة إلى منوسة وابن عذارى هو المصدر الوحيد الذى ذكر أن عثمان بن أبى نسعة عاد إلى المغرب بعد عزله من الأندلس أما باقى المصادر فروت أن عثمان بن أبى نسعة ظل يشارك فى الأحداث التى دارت فى الأندلس بعد هذه الفترة وعاصر ثورة البربر فى الأندلس ثم الانقسام بين عرب الأندلس وعرب الشام حتى مقتل بلج. المقرى : جـ١ ص٢٣٧- مجهول : أخبار مجموعة ص٤٦ ، ٤٧ ، «أبى نسعة وهو من أصل عربى من عرب لخم وقد تزوج من ابنة الدوق أودو وتدعى امبيجيا وكانت فتاة بارعة الجمال بلغت شهرة عظيمة». شكيب أرسلان : غزوات العرب ص٩٨ ، ٩٩ ، إبراهيم طرخان : المسلمون فى فرنسا ص٧٢ ، ٧٣ ، رينو : الفتوحات ص٦٢ ، ٦٣ ،

Lavisse : Ibid . p. 259 , Becker Ibid : p. 374 .

٧١- ابن الأثير : الكامل ج٤ ص٢١٤ ، ٢١٥ ، وابن عذارى : البيان ج٢ ، ص٢٨ ، ٢٩ ، وعبدالله عنان : الإسلام فى الأندلس ص٨٩ .

٧٢- رينو: الفتوحات ص٦٦ ، وأرسلان : غزوات العرب ص٨٦ ، ٨٧ ، ٨٩ ،

Lavisse : Ibid . p. 260 , Becker : Ibid , p. 374 . Pirenne : Ibid , p. , Altamira Rafael : Ibid, p. 129 . 156

٧٣- رينو : الفتوحات ص٦٦ أرسلان : تاريخ غزوات العرب ص٩٩ ، وعبدالله عنان: دولة الإسلام فى الأندلس ص٨٨ ، ٨٩ ، يقول ألتميرا أن مدينة تور كانت مستقراً للقديس مارتن وكانت عاصمة فرنسا الدينية، Altamira : Ibid , p. 129 .

٧٤- Altamira : Ibid , p. 129 .

Lavisse : Ibid . p. 260 , Becker : Ibid, p. 374 .

د. حسن محمود : الإسلام فى البحر المتوسط ص٦٨، وعبدالله عنان : دولة الإسلام ص٨٩ .

٧٥- ابن الأثير : الكامل ج٤ ، ص٢١٤ ، ٢١٥ ، والمقرى : نفح الطيب ج١ ص٢٧٤ . ورينو : الفتوحات ص٦٥ ، ٦٦ وأرسلان : غزوات العرب ص٩٨، ٩٩ .

٧٦- Lavisse : Ibid . p. 260 , Pirenne : Ibid, p. 156 , Altamira : Ibid, p. 129 .

وعنان : دولة الإسلام ص٩٠، ورينو : الفتوحات ص٦٨ ، ٦٩ .

٧٧- رينو الفتوحات ص٦٨ ، ٦٩ ، ٧٠ ، عنان: دولة الإسلام ص٩٨ ، وشكيب أرسلان ص٩٩ ، ١٠٠ . Lavisse : Ibid , p. 260 .

٧٨- Becker : Ibid , p. 373 , 374 , Lavisse : Ibid , p. 260 .

٧٩- Becker : Ibid , p. 373 .

٨٠- ابن الأثير: الكامل ج٤ ص٢١٥ ، ٢١٧ ، ٢١٩ ، الرقيق : تاريخ إفريقية والمغرب ص٧٥ وابن عذارى : البيان ج٢ ، ص٢٨ ، وابن عبد الحكم : فتوح مصر ص٢٩٣ .

٨١- ابن الأثير : الكامل ج٤ ص٢١٧ : إبراهيم طرخان : المسلمون ص٧٩ ، رينو : الفتوحات الإسلامية ص٧٢ ، ٧٤ ، د. حسين مؤنس : فجر الأندلس ص٢٧٧، وشكيب أرسلان : غزوات العرب ص١٠٥ .

٨٢- المقرى : نفح الطيب ج١ ص٢٧٤ ، رينو : الفتوحات ص٧٤ ، د. حسين مؤنس : فجر الأندلس ص٢٧٦ ، ٢٧٧ ، ٢٧٨ ، Lavisse : Ibid , p. ٢٦٠ ,

٨٣- عبدالله عنان : دولة الإسلام فى الأندلس ص١١٣ ، رينو : الفتوحات ص٧٤ ، وشكيب أرسلان : غزوات ص١٠٥ ، ود. حسين مؤنس : فجر الأندلس ص٢٧٧ .

٨٥- تولى عبد الملك بن قطن الفهرى ولاية الأندلس ١١٤-١١٦هـ فخرج بنفسه إلى جنوب غالة ليأخذ بثأر المسلمين عقب استشهاد الغافقى ، وأثناء ذلك كان اتصل به الدوق موروننتسوس دوق مارسيليا وتعاون معه - وبعد عودة عبدالملك بن قطن إلى قرطبة ترك عبد الرحمن بن علقمة اللخمى نائبا عنه فى قاعدة نربونة وهذا السرد مطابق للأحداث التاريخية وللروايات العربية- أما رينو فقال أن الفهرى هو الذى اشترك مع مورنتوس فى التوغل داخل أراضى بلاد الغال- وقد ظن رينو أن لقب الفهرى يرجع إلى اسم يوسف بن عبدالرحمن الفهرى ، فنقل عنه معظم مؤرخينا مثل د. حسين مؤنس ، وإبراهيم طرخان وعبدالله عنان- فلقب الفهرى كان هو لقب عبد الملك بن قطن الفهرى أيضا وهذه الأسرة الفهرية لعبت دوراً مهمًا فى الفتوحات الإسلامية فى المغرب والأندلس منذ أيام عقبة بن نافع الفهرى- وطبقا للواقع التاريخى فإن عبد الرحمن ابن يوسف الفهرى لم يكن له دور فى هذه الفترة فى جنوب غالة ولكن صيته سيظهر بوضوح بعد ذلك بنحو ١٣ سنة عندما يتولى أمر الأندلس سنة ١٢٩ / ١٣٨هـ .

ابن عذارى : البيان ج٢ ص٢٨ ، ٢٩، ٣٠ ، المقرى : نفح الطيب ج١ ص٢٣٥، ٢٣٦ ، رينو : الفتوحات : ص٧٣ ، ٧٤، ٧٥ ، وإبراهيم طرخان : المسلمون

فى أوروبا ص١٦٠ ، ١٦١ ، ١٦٢ والمسلمون فى فرنسا ص٧٥، ٨٠ ، مؤنس فجر الأندلس ص٢٧٨ عبد الله عنان: دولة الإسلام فى الأندلس ص١١٣ .

٨٦- المقرى: نفح الطيب ج١ ص٢٧٤ عبد الله عنان : دولة الإسلام ص١١١، ١١٢، طرخان : المسلمون فى فرنسا ص٧٥ ، ٨٠، د. حسين مؤنس : فجر الأندلس ص٢٧٨ .

٨٧- Lavisse : Ibid , p. 260 .

٨٨- المقرى: نفح الطيب ج٢ ص٢٣٥ ، وابن عذارى : البيان ج٢ ص٢٩ وابن الأثير : الكامل ج٤ ص٢١٥ ، ٢١٧ و٢٢٢ ومجهول : أخبار مجموعة ص٣١ .

٨٩- ابن عذارى : البيان ج٢ ص٢٩ وابن الأثير : الكامل ج٤ ص٢١٩ ، ٢٢٢، ٢٥٠ ، ٢٥١ .

٩٠- يقول ابن عذارى: «وأقام عقبة بالأندلس بأحسن سيرة وأجملها وأعظم طريقة وأعدلها ، إلى أن غزا أرض إفرنجة فلقيته جيوش الأعداء فكان صاحب بأس ونجده ونكاية للعدو وشدة» ابن عذارى: البيان ج٢ ص٢٩ ، الرقيق : تاريخ إفريقية والمغرب ص٧١ ، ٧٥ .

٩١- عبدالله عنان : الإسلام فى الأندلس ص١١٢، عبد الرحمن الحجى: التاريخ الأندلسى ص٢٠٤ ، ٢٠٥ .

٩٢- ابن عذارى: البيان ج٢ ص٣٠ ، والمقرى : نفح الطيب ج٢ ص٢٣٦ .

٩٣- رينو: الفتوحات العربية ص٧٦ ، عنان : الإسلام فى الأندلس ص١١٢، ١١٣ ، طرخان : المسلمون فى الأندلس ص٨١ ، حسن محمود : الإسلام فى

حوض البحر المتوسط ص٥٠ ، ٥١ .

Pirenne : Ibid , p. 154 .

٩٤- عنان : الإسلام فى الأندلس ص١١٢ . . Lavisse : Ibid , p. 261 .

٩٥- رينو: الفتوحات ص٧٧ ، وعنان : الإسلام ص١١٣ ،

Lavisse : Ibid , p. 261 , Altamira : Ibid , p. 129 , 1230 , Pirenne: Ibid p. 156 .

٩٦- رينو: الفتوحات ص٧٧ ، . Lavisse : Ibid , p. 261 .

٩٧- عنـان : الإســلام ص١٣٣ ، Altamira : Ibid , p. 129 Pirenne : Ibis, p. 156 .

Lavisse : Ibid , p. 260 , 261 .

٩٨- Lavisse : Ibid , p. 260-261 , Altamira : Ibid , p. 129 .

٩٩- يذكر رينو «أن شارل مارتل كان لايميل بطبعه إلى سياسة الحصار الطويلة خوفا من ثورات السكسون والفريزيين الذين كانوا يستغلون انشغاله مع العرب رينو: الفتوحات ص٧٨ .

١٠٠- Lavisse : Ibid , p. 261 .

١٠١- عنان : دولة الإسلام فى الأندلس ص١١٤ ، رينو : الفتوحات ص٨٠ .

Lavisse : Ibid , 261 .

١٠٢- رينو: الفتوحات ص٨٠ ، . Lavisse : Ibid, 261 .

١٠٣- رينو: الفتوحات ص٨٠ ، عنان : دولة الإسلام ص١١٤ .

١٠٤- مجهول : أخبار مجموعة ص٣٥ ، وابن عذارى : البيان ج٢ ، ص٣٠ ،

٣١ ، المقرى: نفح الطيب ج٢ ص٢٣٥، ٢٣٦ .

* مجهول : أخبار مجموعة ص٣٥ .

* مجهول : أخبار مجموعة ص٣٥ ، ٣٦ وابن عذارى البيان ج٢ ص٣٠ ، ٣١ ودوزى: تاريخ مسلمى أسبانيا ج١ ص١٣٨ ، ١٣٩ ، ١٤٤ .

١٠٥- ابن عذارى: البيان ج٢ ص٣٢ يقول ابن عذارى: «ثم إن أمية وقطنا ابنى عبد الملك بن قطن حشدا فى جهة سرقسطة وكانا قد هربا من قرطبة وقت إخراج أبيهما منها، وجاءا إلى بلج طالبين بثأرهما وهما فى نيف على مائة ألف من العرب القدماء والحدث فخرج إليهما بلج وهو فى أقل من خمس عددهما فأقتتلوا قتالا شديدا ثم انهزم ابنا عبد الملك ومن معهما هزيمة عظيمة».

١٠٦- ابن عذارى: البيان ج٢ ، ص٣١ ، ٣٢ .

١٠٧- مجهول : أخبار مجموعة ص٤٦ ، ابن عذارى : البيان ج١ ص٣٢ .

١٠٨- ابن عذارى : البيان ج٢ ص٣٢ ، ٣٣ ، عنان : دولة الإسلام فى الأندلس ص١٢٣ ، دوزى : تاريخ مسلمى أسبانيا ج١ ص١٥٢ ، ١٥٣ .

١٠٩- ابن الأثير : الكامل ج٤ ص٢٦٠ ، وابن عذارى : البيان ج٢ ص٣٣، عنان : الإسلام فى الأندلس ص١٢٤ .

١١٠- يقول ابن عذارى: «وفى سنة ١٢٥هـ ركب أبو الخطار البحر من ناحية تونس فى المحرم ، وحلّ بقرطبة ، فألقى ثعلبة بن سلامة بالمصارة ومعه الأسرى والسبى من عرب قرطبة ، قد اشتبك فى الحبال الولد بالوالد، فأمر أبو الخطار بإطلاقهم وحلهم من وثاقهم ، وجمع الناس بعد افتراقهم وصرفهم إلى معهود اتفاقهم ، فدانت له جماعتهم ، وفرق أهل الشام على الكور

ونظر لسواهم أيضا بأحسن النظر . وكان إنزالهم على أموال العجم من أرض ونعم ودخل فى ذلك الوقت الصميل بن حاتم - وتعصب المضريون معه وأتوا إلى قرطبة حيث أبو الخطار فخرج إليهم دون عدة ، فهزمه القوم وقبضوا عليه وأثقلوا بالحديد رجليه ثم إنه أفلت من كبله»، واستطاع الهروب ، وسبب انقلاب المضرية عليه أنه بعد مقتل بلج فى الأندلس تولى إمرة الجيش ثعلبة بن سلامة العاملى وبايعه أهل الشام بما عهد به هشام إليهم، وأثناء ولاية ثعلبة ثار من بقى من البربر بمارده فهزمهم وقتل منهم خلقا كثيرا وأسر منهم نحو الألف وانصرف إلى قرطبة فلما تولى أبو الخطار الولاية وقدم إلى قرطبة وجد ثعلبة يبيع السبى من البربر بأبخس الأثمان فأمر أبو الخطار بوقف هذا العبث والبغى وأطلق سراحهم «ولكن تعصبه لليمنية على حساب القيسية أشعل الفتن مرة أخرى فثار عليه الصميل بن حاتم ومعه أهل مضر وقبضوا عليه إلا أنه استطاع الفرار من سجنه » ابن عذارى: البيان ج٢ ص٣٣ ، ٣٤ ، ٣٥ .

١١١- اشتعلت الفتنة بالأندلس فى سنة ١٢٨هـ بعد عزل أبى الخطار فاختار أهل الأندلس أحد القادة اليمنية وهو ثوابه بن سلامة الجذامى من أهل فلسطين الذى ثار على أبى الخطار بتحريض من الصميل ابن حاتم، ونجح أبو الخطار بعد فراره أن يجتمع معه اليمنية ودعاهم للنصرة على المضرية : والتقى الفريقان وانتهى بترك اليمنية لأبى الخطار وتوفى ثوابه بعد ذلك فعادت الحرب مرة ثانية ، «واراد اليمنية أن تعيد أبا الخطار، فابت ذلك مضر مع الصميل وتشاكس الفريقان وظلت الأندلس بدون والى لمدة أربعة أشهر إلا أنهم قدموا عبد الرحمن بن كثير اللخمى للنظر فى الأحكام» لأن الخلافة الأموية كانت فى ذلك الوقت تمر بأزمة سياسية بعد قتل الخليفة

الوليد ابن يزيد وتفرقت كلمة بني أمية في المشرق «ولما تفاقم الأمر وكثر الاختلاف بين أهل الأندلس تراضوا واتفقوا على تولية يوسف بن عبد الرحمن الفهري سنة ١٢٩هـ بعد أن اختاره أهل الأندلس لانشغال أمير المؤمنين مروان بن محمد بالمشرق عنهم وبعده عنهم» وخصوصا أن أباه كان قد استقل بالمغرب والأندلس لذلك فضل أهل الأندلس يوسف بن عبدالرحمن بن حبيب الفهري «بموافقة أبيه على تولية ابنه يوسف»، ابن عذاري : البيان ج١ ص٣٥ ، ٣٦ ، والرقيق ص٢ ، ٩٣ ، وعبد الحكم : فتوح مصر وأخبارها ص٢٩٣، ٢٩٨ .

١١٢- ابن عذاري: البيان ج٢ ص٣٦ ، ابن الأثير: الكامل ج٤ ص٢٤٩ ، ٢٥٠، ٣٠٨ .

١١٣- ابن عذاري : البيان ج٢ ص٣٦ ، والمقري: نفح الطيب ج٢ ص٢٣٥ ، ٢٣٦، عنان : الإسلام في الأندلس ص١٣١ .

١١٤- Lavisse : Ibid , p. 261 , Pirenne: Ibid, p. 157 .

١١٥- ابن عذاري : البيان ج٢ ص١٣٨ .

١١٦- ابن عذاري: البيان ج٢ ص٣٨ ، عنان : دولة الإسلام ص١٣١ ، ١٣٣ ، ١٣٥ ، رينو الفتوحات ص٩٢ ، حسين مؤنس : فجر الأندلس ص٢٨٩ ، Pirenne : Ibid, p. 157

١١٧- ابن عذاري: البيان ج٢ ص٣٩ ، ٤٠ وابن الأثير الكامل ج٤ ص٣٥٩ ، ومجهوا أخبار مجموعة ص٤٩ ، المقرى نفح الطيب ج ص٣٢٧، ٣٢٨ .

١١٨- رينو : الفتوحات ص٨٥ . عنان : الإسلام في الأندلس ص١٣٥ ، حسين مؤنس : فجر الأندلس ، ص٢٨٨ ، ٢٨٩ .

١١٩- وبالرغم من ذلك بقيت جماعات صغيرة من المسلمين تسيطر على بعض نواحي دوقية الدوفنيه ونيس، واعتصمت جماعات من العرب في شعاب جبال الألب الغربية وظلت هذه الجماعات تقيم في هذه النواحي طوال عصر شارلمان واستطاعت هذه الجماعات الإسلامية من الاستيلاء على مدينة جرينوبل وظلوا مقيمين بهذه النواحي حتى نزل المسلمون شاطئ فرنسا الجنوبي مقبلين من صقلية وقرصونة بعد مائة وثلاثين عاما. رينو : الفتوحات ص٨٥ ، شكيب أرسلان : غزوات المسلمين ص١١٣ ، إبراهيم طرخان : المسلمون في أوربا ص١٦٧ ، حسين مؤنس: فجر الأندلس ٢٩٠، ٢٩١ ، ٢٩٢ ، عنان: الإسلام في الأندلس ص١٣٥ .

Lavisse: Ibid, p. 277 .

١٢٠- لم يجد جديد في أمر أربونة خلال السنوات السبع التالية لأن أهل الأندلس شغلوا بأمر عبد الرحمن الداخل وتأسيس دولته ولم تغب عن عبد الرحمن الداخل أهمية هذا الثغر ، فلم يكد الأمر يستقر له حتى أسرع في سنة ١٤١هـ / ٧٥٨م بإرسال قوة عسكرية بقيادة سليمان ابن حبيب بن عبد الملك وهو من أمراء الأسرة الأموية ولكن التوفيق لم يحالفه إذ دهمه رجال العصابات في ممرات جبال ألبرت وقتلوه وكانت هذه آخر محاولة قام بها الأندلس في عهد عبد الرحمن الداخل لاستعادة نربونة مما ساعد بقايا القوط الذين كانوا قد اعتصموا بشعاب جبال اشتوريس وجيلقية في الركن الشمالي الغربي على أن يستغلوا هذه الأوضاع وقد استفحل أمرهم والتفوا حول زعيم لهم يدعى بلايو الذي نظم أمر هذه الجماعة وظل يناوش المسلمين في فترات ضعفهم وانشغالهم بالفتن وأصبحت له إمارة صغيرة قوية فلما

توفى بلايو فى سنة ١٢٠هـ / ٧٣٧م خلفه ابنه فافيلا ثم ابنه الفونسو الأول والذى استطاع توسيع رقعة إمارتهم وتوغلوا داخل الأراضى الإسلامية حتى مدينة استرقه ثم توالى استيلاؤهم على ضياع أخرى من أيدى المسلمين ولم يأت منتصف القرن الثامن الميلادى حتى كانت تلك الامارة النصرانية وقد اشتد ساعدها وظلت تناوش المسلمين وتضم ممتلكات أخرى ونشأت مملكة قشتالة. ابن عذارى : البيان ج٢ ص٣٩ ، ٤٩ مجهول : أخبار مجموعة ص٤٩ ، ٨٧ ، ١٠٢ ، عبد الله عنان: الإسلام فى الأندلس ص١٣٠ ، ١٣٥ ، حسين مؤنس ، فجر الأندلس ص٢٩٠ ، ٢٩١ ، ٢٩٢ .

١٢١- البلاذرى : فتوح البلدان ص١٥٨-١٦٨ ، رينو ، الفتوحات ص٩٠، ٩١ حسين مؤنس: فجر الأندلس ص٦٠٧ ، ٦٠٨ ، ٦٠٩ ، عبد الله عنان : الإسلام فى الأندلس ص١٠٣ ، حسن محمود : الإسلام فى حوض البحر المتوسط ص٥٠ ، ٥١ ، ٦٥ .

١٢٢- البكرى: وصف الأندلس وأوروبا ص٦٦ ، وياقوت الحموى : معجم البلدان ج١ ص٣٥٠ ، وعنان: الإسلام فى الأندلس ص١٣٠، حسين مؤنس : فجر الأندلس ص٥٥٥، ٥٥٩، ٥٧٠ .

١٢٣- ابن عذارى : البيان المغرب ج٢ ص٣٨ ، عنان : الإسلام فى الأندلس ص١٣٠، ويبدو أن يوسف الفهرى قد فرض سلطته على قاعدة نربونة بعد أن استقل بها عبد الرحمن بن علقمة وأعلن الثورة على يوسف وخلع طاعته فترة من الوقت.

١٢٤- مجهول : أخبار المجموعة ص٢٩ ، ابن عذارى: البيان ص٢٣ ، ٢٦ ، المقرى : نفح الطيب ج١ ص٢٣٧ .

١٢٥- ابن عذارى : البيان ج٢ ص٢٦ ، المقرى : نفح الطيب ج١ ص٢٣٦، ٢٣٧ ، حسين مؤنس : فجر الأندلس ص١٢٥ .

١٢٦- ابن عذارى: البيان ج٢ ص٢٦، ابن حوقل : المسالك والممالك ص١١١ .

١٢٧- ابن عذارى : «البيان ج٢ ص٢٧ ، يقول ابن عذارى: «ثم ولى يزيد بن أبى مسلم عامل إفريقية على الأندلس عنبسه بن سحيم ، فدخلها فى شهر صفر ، وفى سنة ١٠٣ كان العامل على إفريقية من قبل يزيد بن عبد الملك بشر بن صفوان، أخو حنظلة فاقر عنبسة على الأندلس فكانت ولاية عنبسة كلها أربع سنوات وثمانية أشهر، وتوفى عنبسة فى شعبان سنة ١٠٧هـ ص٢٧ .

١٢٨- ابن عذارى: البيان ج٢ ص٢٨ ، والمقرى : نفح الطيب ج١ ص٢٣٧ ، وابن الأثير: الكامل ج٤ ص٢٠١-٢٠٧ .

١٢٩- ابن عذارى : البيان ج٢ ص٢٦ ، ٢٨ ، ومجهول : أخبار المجموعة ص٢٩ .

١٣٠- تميز الفتح الإسلامى فى منطقة البحر المتوسط بأنه لم يكن تحركًا لجيوش فحسب وإنما كان تحركا للقواعد والثغور فكلما فتح العرب أرضا جديدة تحركت هذه القواعد والعواصم مثال ذلك كانتقالها من بلاد الشام إلى مصر وبرقة وطرابلس ثم إفريقية والمغربيين الأوسط والأقصى ثم الأندلس وجنوب فرنسا وأغلب المصادر العربية ذكرت من أسباب إقدام موسى بن نصير على الفتح أنه كان مسايرا لسياسة : الدولة الأموية فى متابعة الجهاد ضد الدولة البيزنطية ومن أجل ذلك فتح الأندلس ليخترق جبال البرتات فى طريقه نحو القسطنطينية كما يقول ابن القوطية «الذى كان فى عزمه أن يفتح أوربا

ويأتى دار الخلافة فى الشرق من الجهة الشمالية بعد أن يقطع أوربا من شرقها إلى غربها ويفتح ضمنًا القسطنطينية» ابن القوطية: تاريخ افتتاح الأندلس ص١٣١ ، حسن محمود : الإسلام فى حوض البحر المتوسط ، ص٥٠ ، ٥١ ، ٦٥ ، ٦٧ ، حسين مؤنس : فجر الأندلس ص٥٩٦، ٥٩٧ .

١٣٢- رينو: الفتوحات ص٩٠ ، ٩١ ، عنان : الإسلام فى الأندلس ص٨٠ ، ١٣٠ ، ١٣١ .

١٣٣- المقرى: نفح الطيب ج١ ص٢٣٥ ، ابن عذارى: البيان ج٢ ص٢٦، ٢٧ .

١٣٤- المقرى: نفح الطيد ج١ ص٢٣٥ ، ابن عذارى، البيان ج٢ ، وريتو : الفتوحات ص٧٣، عنان : الإسلام فى الأندلس ص٨٨ ، ٨٩ .

١٣٥- ابن عذارى : البيان ج٢ ص٢٨ ، المقرى : نفح الطيب ج٢ ص٢٣٥ ، رينو : الفتوحات ص٦١ ، ٦٢ ، ص١٠٣ طرخان : المسلمون فى فرنسا ص٧٩ .

١٣٦- يقول رينو: «كانت بمدن إقليمى سبتمانيا والبروفانس أمراء استغلوا الفراغ السياسى بعد سقوط حكم القوط فى إسبانيا فاقتطعوا لأنفسهم إمارات وحكموا المدن الكبرى متخذين لأنفسهم ألقاب الدوق والكونت وكان وراء كل واحد منهم أنصار وأتباع من ذوى المصالح وكان هؤلاء الأمراء يتخوفون من سلطة شارل وأودو لذلك التجأوا إلى العرب وعقدوا معهم محالفات» ، رينو : الفتوحات ص٩٠، ٩١ ، إبراهيم طرخان : المسلمون فى فرنسا ص٧٩، عبدالله عنان : الأندلس ص٦٥ .

١٣٧- حسن محمود : إنتشار الإسلام ص٦٥ ، حسين مؤنس : فجر الأندلس ص١٢٤ ، ٥٩٦ ، ٥٩٧ ، ٦٣٩ ، أرنولد : تاريخ الدعوة إلى الإسلام ص١٤٣ ، ١٤٤ .

١٣٨- البلاذري : الفتوح ص٧١ ، ابن عذاري : البيان ٢ة ص٢٧ ، رينو: الفتوحات ص٤٣ ، ٤٩ ، ٥٩ ، ٩١ .

١٣٩- ابن عذاري : البيان ج٢، ص٢٣ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٣٨ ، رينو : الفتوحات ص٥٣ ، ٩١ ، حسن محمود : الإسلام في حوض البحر المتوسط ص٥٠ ، ٥٧ .

١٤٠- البلاذري : فتوح البلدان ص٧١ ، ابن عذاري: البيان ج٢ ص٢٧،٢٨ ، حسن محمود: الإسلام في البحر المتوسط ص٦١ ، عبد الشافي عبد اللطيف: العالم الإسلامي في العصر الأموي ص٣٦٨ ، ٣٨٧ .

يعلق د. حسين مؤنس على الوضع الديني في جنوب غاليا فيقول : «كانت المسيحية في غاليا في حرج شديد عندما دخل المسلمون إليها فكان أهل الجنوب منقسمين إلى مذهبين المذهب الأريوسي.والمذهب الروماني الكاثوليكي - وإن معظم القبائل الجرمانية التي كانت تهدد أمن وسلامة بلاد الغال كانوا ما زالوا على الوثنية وكانوا يشنون الغارات على أراضيها بل ويعتدون على الكنائس وينهبون ثرواتها ». فجر الأندلس ص٣٠٥ ، شكيب أرسلان : غزوات العرب ص١٠٧ ، رينو الفتوحات ص٧٩ .

١٤١- حسن محمود: الإسلام في حوض البحر المتوسط ص٦١ .

١٤٢- الضبي: بغية الملتمس ص٢٥٩ نقلا عن حسين مؤنس ص١١٤ أرنولد: الدعوة إلى الإسلام ص١٤٣ ، ١٤٤ ، ١٤٩ ، ١٥٣ ، حسن محمود ص٥٩ .

١٤٣- حسين مؤنس ص٥٥٠، ٥٥١، ٥٥٢، ٥٥٣ .

١٤٤- رينو: الفتوحات ص٩٠، ٩١ ، حسن محمود ص٥١ ، مؤنس : ص٥٥٣-٥٩٧ ، ٥٩٩ .

١٤٥- ابن عذارى : البيان ج٢ ص٢٦ المقرى : نفح الطيب: ص٢٣٥ ، مجهول: أخبار مجموعة ص٢٩ ، ٣٠ .

١٤٦- نقلا عن رينو : الفتوحات ص٥٥ ، ٧٤، عنان : دولة الإسلام فى الأندلس ص٨٤ .

١٤٧- ابن عبد الحكم : فتوح مصر والمغرب ص٢٩٢ ، ابن عذارى: البيان ج٢ ص٢٧ .

١٤٨- ابن عذارى : البيان ج٢ ص٢٩ ، إبراهيم طرخان : المسلمون فى فرنسا ص٨١ ، عنان : الإسلام ص١١١، ١١٢ المقرى : ج١ ص٢٣٧ ، وابن الأثير ج٤ ص٢١٤ .

١٤٩- ابن عذارى : البيان ص٢٩ ، رينو : الفتوحات ص٩٠ ، ٩١ شكيب أرسلان : غزوات العرب ص٨٦ ، ٨٧ ، ٨٩ ، مؤنس : فجر الأندلس ص٢٤٤ ، ٥٤٩ ، ٥٥٠ ، عنان : الإسلام فى الأندلس ص٨٠ ، ١٣٠ ، ١٣١ .

١٥٠- رينو: الفتوحات ص٥٣ ، ٥٤ ، ٥٥، ٥٩ .

١٥١- توماس أرنولد: الدعوة إلى الإسلام ص١٤٣ ، ١٤٤ .

١٥٢- رينو: الفتوحات ص٥٤ ، ٥٥ ، ٥٦ ، ٥٧ ، ٧٤ ، ٧٩ ، مؤنس : فجر الأندلس ص٢٨٥ ، ٢٨٧ ، حسن محمود : الإسلام ص٦٥ ، ٦٦ لأن شارل مارتل لما احتل المدن الجنوبية التى كانت تحت سيادة العرب جعل رجال مدنيين يشرفون على الكنائس مما أدى إلى تدهورها .

Pfister , p. 150-146 .

١٥٣- عبدالله عنان: دولة الإسلام فى الأندلس ص٨٤ ، رينو : الفتوحات ص٥٧ ، ٥٨ ، ٧٨، ٧٩ ، ٨١ .

١٥٤- المقرى : نفح الطيب ج١ ص٢٧١ ، ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ص٨٦ ، ٩٣ ، حسن محمود : الإسلام ص١٢٠ ، ١٢٩ ، حسين مؤنس ص١٣٤ ، ١٣٥ .

١٥٥- حسن محمود : الإسلام ص١٢٠ ، ١٢١ ، حسين مؤنس : فجر الأندلس ، ص٣٦٨ ، ٣٠٩ ، ٦٠٠ ، ٦٠١ .

١٥٦- عنان : الإسلام فى الأندلس ص٨٤ .

١٥٧- رينو الفتوحات ص٥٣ ، ٧٤ ، , Prfister : Ibid , p. Lavisse : Ibid p. 124 .

١٥٨- الباز العرينى: أوربا ص٢٤٢ ، ص٢٤٣ ، ص٢٤٤

Pfister : Ibid, p. 144 .

١٥٩- Pfister : Ibid, p. 150 .

١٦٠- Pfister : Ibid , p. 149 .

١٦١- Joseph O'Callaghan : History of Medieval Spain , p. 153 .

١٦٢- رينو : الفتوحات ص٤٦ ، عنان : دولة الإسلام ص٨٠ ، ٩٣ .

Pfister : Ibid, p. 151 , Lavisse : Ibid, p. 258 .

١٦٣- رينو : الفتوحات ص٤٦ ، ٤٨ ، ٥٨ ، حسين مؤنس : فجر الأندلس ص٢٨٥ ، ٢٨٧ .

١٦٤- ابن عبد الحكم : فتوح مصر وأخبارها ص٢، ٣، ٤ الماوردى: الأحكام السلطانية ص١٨١ ، ١٨٢ ، ١٨٤ .

١٦٥- الماوردى: الأحكام السلطانية ص١٨٦ ، ابن الأثير : الكامل ج٣ ، ص٧ .

١٦٦- الماوردى: الأحكام السلطانية ص١٨٦ ، ١٨٧ ، ١٨٨ .

١٦٧- حسين مؤنس : فجر الأندلس ص١٢٥ ، ٦٠٠ ، ٦١٦ ، ٦١٧ ، ٦١٨ ، ٦١٩ ، رينو : ص٤٥ .

١٦٨- كان الخليفة الأموى يعقد للشاميين أى جند الدولة الرسمى لواءين : لواء غازيا ولواء مقيما ، وكان رزق الغازى بلوائه ٢٠٠ دينار ويبقى المقيم بلارزق معتمدا على ما يأخذه من أموال الغنائم ، المقرى : نفح الطيب ج١ ص٢٣٨ ، حسين مؤنس: فجر الأندلس ص٥٩٨ ، ٥٩٩ .

١٦٩- مجهول: أخبار مجموعة ص٣٠ ، ابن عذارى : البيان ص٢٢ ، ٢٣ ، ٢٦ ، الماوردى : الأحكام ص١٦١ ، ١٦٧ ، ١٦٨ ، حسين مؤنس : فجر الأندلس ص٥٩٨ ، ٦٠٠ ، ٦٠١ ، ٦٠٢ .

١٧٠- ابن عذارى : البيان ج٢ ص٢٦ ، ابن الأثير الكامل : ج٤ ص١٥٢ ، ١٦٠ ، ١٦١ .

١٧١- Josepeh O'callaghan; Ibid, p. 154 , Lavisse : Ibid , p. 203 .

١٧٢- Josepeh O'callaghan : Ibid , p. 154 , Lavisse : Ibid, p. 214 .

١٧٣- ابن عذارى : البيان ج٢ ص٢٦ ، رينو : الفتوحات ص٤٨ ، حسين مؤنس : فجر الأندلس ص٦٢٢ ، ٦٢٣ ، ٦٢٤ ، ٦٢٨ .

١٧٤- حسن محمود : الإسلام فى حوض البحر المتوسط ص٦٨ ، ٦٩ ، ١٣١ .

١٧٥- ابن عذارى : البيان ج٢ ص٢٧ ، المقرى : نفح الطيب ج٢ ص٢٣٥ ، عنان دولة الإسلام فى الأندلس ص٨٦ ، Becker : p. 374 .

١٧٦- وقد وضحت سياسة المسلمين العادلة واحترامهم للعهود بصورة كبيرة

والتى شعر بها أهل جنوب غالة بعد اقتحام شارل مدن بيزيه وأجد وماجلون وقام بتخريب هذه المدن ونزع السلاح من أيدى سكانها النصارى، ودمر جزءاً كبيراً من مدرجات مدينة نيم الفخمة ذات الأثر الرومانى العريق بل واغتصب ممتلكات الكنائس ولم يردها إليها ويعلق رينو على هذا العمل بقوله «إنه لمن المؤكد أن سكان فرنسا الجنوبية كانوا ينظرون بعين السخط إلى سلطة شارل مارتل . فإن هؤلاء السكان الذين كانوا يفتخرون باحتفاظهم بكثير من منشآت الرومان الحضارية ، كانوا يعتبرون سكان الشمال برابرة لا أثر لحضارة لديهم، وأما رجال الكنيسة فى «الجنوب والشمال» فقد كانوا ينقمون على شارل الطريقة التى استولى بها على أموال الكنيسة التى أصبحت تحت تصرفه ولم يعيدها إلى أصحابها بل قام بتوزيع هذه الأراضى التى كانت موقوفة على الكنيسة من العقارات التابعة لها على رجاله وجنوده . رينو : الفتوحات ص٧٨ ، ٧٩ ، ٨١ .

١٧٧- أرشيبالد لويس: تاريخ القوى البحرية ص٧١ ، ١٣٠ ، : Lavisse Ibid, p. 33 .

١٧٨- والدليل على حقيقة الإصلاحات الاقتصادية التى شملت نواحى عديدة لأهل غالة الجنوبية فى ظل الحكم الإسلامى ما ذكره المؤرخ Lavisse أنه فى أواخر العصر الميروفنجى كانت الدولة توزع الضياع الملكية المتناثرة فى أنحاء البلاد على كبار الشخصيات واضطر ملوك الفرنجة إلى فرض ضرائب مباشرة أو غير مباشرة ، وفرض المكوس على التجارة الداخلية بين المدن، بل فرض ضرائب على العبيد ، أو ابتداع ضرائب جديدة فكان المحاربون مثلا يحضرون اجتماع الربيع ومعهم الهدايا الثمينة تطوعًا ثم أصبحت إجبارية فيما بعد»

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

Lavisse : Ibid , p. 204 , 214 , 260 , 261 .

Josph O'callaghne : Ibid, p. 155 .

١٧٩- البكرى : جغرافية الأندلس وأوربا ص٦٩ ، ٨٥ ، والحميرى: الروض المعطار ص٢٤ ، ياقوت : معجم البلدان : ج١ ص٣٥٠ .

١٨٠- لعبت نربونة ومارسيليا دوراً مهمًا فى تجارة الغرب الأوربى طوال القرنين السادس وأوائل السابع الميلاديين وذلك فى أوائل عهد الدولة الميروفنجية ثم أصابها التدهور السياسى والاقتصادى منذ ذلك الحين وحتى مستهل القرن الثامن الميلادى مما انعكس على الغرب الأوربى كله من تدهور المدن التجارية والصناعية إلى جانب هجمات الفريزيين والسكسون المستمر على بلاد الغال مما أفزع التجار واهتزت الأحوال الاقتصادية فى بلاد الغال كلها .

Lavisse : Ibid , p. 339 .

Joseph : Ibid , p.-155 .

أرشيبالد لويس القوى البحرية ص٦٨ ، ٦٩ ، سعيد عبد الفتاح عاشور : تاريخ أوروبا فى العصور الوسطى ج ص١٩٨، ١٩٩ .

١٨١- لويس : القوى البحرية ص٦٧، ٧١ ، ١٣٠ Lavisse : Ibid, p. 204, 339 .

* Lavisse : Ibid , p. 337 .

١٨٢- ابن حوقل : صورة الأرض ص١٠٥ ، والمسالك والممالك: ص٧٥ ، ٧٦ .

١٨٣- نفس المصدر السابق ونفس الصفحات .

١٨٤- كان ميناء جيرونه أو جرنده يقع فى القسم الثالث طبقا لتقسيم قسطنطين للأندلس يقول البكري: «وجعل الجزء الثالث من مدينة طركونه وأضاف إليها مدينة سرقسطة وأشقة ولاردة وطرطوشة وتُطيلة وأعمال بلد ابن شانجو كلها أي بلاد نافار وبلد يليارش وبرشلونه وجرندة ومدينة اتيوريش ومدينة بنبلونه ومدينة أوقه ومدينة قلهرة ومدينة طرسونه ومدينة اماية). وكانت ينة جيرونه تقع فى أقصى الشمال الشرقى الأندلس لذلك كانت أقرب مدينة لنربونه وقد لعبت دوراً حيويا في الحفاظ على قوة نربونة عسكريا واقتصاديا فكانت تخرج منه السفن حاملة الامدادات العسكرية أو البضائع التجارية وترسو هذه السفن عند نربونه أو ماجلون . البكرى: جغرافية الأندلس وأوربا ص٦١ ، ٦٢ . وأرسلان : ص٦٨ ، ٦٩ .

١٨٥- كانت ماجلون من القواعد الهامة لإقليم سبتمانيا وعرفت بثغر المسلمين، ولعبت دورا مهما فى النشاط التجارى والاقتصادى الذى ظهر فى جنوب غالة فى عهد المسلمين وازدهرت هذه المدينة ازدهارا كبيرا إذ أصبحت من الموانئ الهامة التى تأتى إليها أيضا السفن التجارية من بلاد الأندلس أو من بلاد المغرب . . Lavisse : Ibid , p. 338-340

ريتو : الفتوحات ص٧٨ ، سعيد عاشور : أوربا فى العصور الوسطى ج١ ص١٩٩ .

* Lavisse : Ibid , p. 339 .

١٨٦- ميناء مرسيليا يقع على ساحل البحر المتوسط وهو من أهم موانئ إقليم البروفانس وتأتى إليه السفن القادمة من المشرق حاملة التوابل وورق البردى

ثم تخرج منه البضائع وتوزع داخل بلاد الغال كلها عن طريق نهر الرون ، وتخرج منها معدن الفضة والزئبق . واستقر بها عدد كبير من الجاليات الشرقية من اليونانيين والسوريين وأعداد كبيرة من اليهود . ابن حوقل : المسالك والممالك ص٧٥ البكري: جغرافية الأندلس وأوربا ص٢٩ ، أرشيبالد لويس : تاريخ القوى البحرية ص٦٨ ، ٦٩ ، سعيد عاشور: أوربا في العصور الوسطى ج١ ص١٩٩ .

١٨٧- أرشيبالد لويس: تاريخ القوى البحرية ص١٣١ ، ١٣٢ ، حسن محمود: الإسلام في حوض البحر المتوسط ص١٥١ . Lavisse : Ibid , p. 340 .

١٨٨- Henri Pirenne : Ibid, p. 155, 164 , 165 , 166 .

١٨٩- أرشيبالد لويس: تاريخ القوى البحرية ص١٣٢ .

Joseph O'Callaghne : Ibid , p. 155 , Lavisse : Ibid , p. 339 .

١٩٠- أرشيبالد لويس : تاريخ القوى البحرية ص١٣٢ .

١٩١- Lavisse : Ibid , p. 339 .

١٩٢- أرشيبالد لويس : ص٧١ .

١٩٣- Lavisse : Ibid, p. 339 , 341 , Joseph : O'Callaghne: p. 165 , Pfister : Ibid , p. 140 .

١٩٤- أرشيبالد لويس : ص١٣٢ .

١٩٥- عبد الرحمن فهمي : فجر السكة الإسلامية ص٣٠ ، ٣١ انستاس الكرملي: النقود العربية ص٩٢ ، ٩٣ .

١٩٦- حسين مؤنس: فجر الأندلس ص١٠٠ ، ١٠١ ، أرشيبالد لويس : ص١٣٢ .

١٩٧- كان الدينار الذهبى الإسلامى يضرب فى دمشق فى البداية ثم يوزع على كافة الأمصار الإسلامية لاستعماله فى كافة شئون الحياة من دفع رواتب الجند وفى التبادل التجارى، وكان يلاحظ على هذه الدنانير أنها كانت تكاد تكون على وزن واحد فى العصر الأموى وهذا إن دل على شئ فإنما يدل على أن الدولة الأموية قد نعمت بالاستقرار الاقتصادى بعد عبد الملك فاستقامت العملة وقل التزييف وانتشر الرخاء فى أثر الفتوح وزادت ثروات الناس فى جميع الولايات التابعة لهم.

Lavisse : Ibid , p. 339 , Lane Pool : Catalogue of the Collection of Arabic Coins , p. 6,7 . Henrich Nutzel: Akatalog Der Orientalischen Munzen , p. 72-73 .

-١٩٨ Lauisse: Ibid, p. 339 .

المصادر والمراجع

أولاً : المصادر العربية المطبوعة

١- ابن الأثير: على بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيبانى (ت ٦٣٠هـ) .

* «الكامل فى التاريخ» - دار الكتاب العربى - بيروت - الطبعة السادسة ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م.

٢- الإدريسى : محمد بن محمد بن عبدالله بن إدريس أبو عبدالله (ت ٥٤٨هـ) . القارة الأفريقية وجزيرة الأندلس

* مقتبس من «نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق» . تحقيق وتقدي اسماعيل العربى ، الجزائر سنة ١٩٨٣م.

٣- البكرى، عبدالله بن عبدالعزيز (ت ٤٨٧هـ) .

* «معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع» تحقيق مصطف السقا، بيروت - عالم الكتب، الطبعة الثالثة سنة ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م.

* «جغرافية الأندلس وأوربا» من كتاب المسالك والممالك، تحقيق د عبد الرحمن على الحجى - الطبعة الأولى ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٨م. دار الأرشاد- بيروت .

٤- البلاذرى ، أحمد بن يحيى بن جابر (ت ٢٧٩هـ) .

* «فتوح البلدان» دار الكتب العلمية- تحقيق رضوان محمد رضوان- بيروت - لبنان ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

٥- ابن حزم ، على بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسى (٤٥٦هـ) .

* «جمهرة أنساب العرب» - تحقيق عبد السلام هارون ، القاهرة، دار المعارف بمصر، الطبعة الرابعة سنة ١٩٧٧م.

٦- الحموى ، ياقوت بن عبدالله الحموى الرومى (ت ٦٢٦هـ) .

* «معجم البلدان» - بيروت ، دار صادر- ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م.

٧- الحميرى، محمد بن عبد المنعم الحميرى (ت ٧٢٧هـ) .

* «الروض المعطار فى خبر الأقطار» معجم جغرافى - تحقيق إحسان عباس- بيروت- مكتبة لبنان - الطبعة الثانية سنة ١٩٨٤م.

٨- ابن حوقل ، ابن القاسم محمد بن على بن حوقل النصيبى (٣٥٠هـ) .

* «صورة الأرض» - مكتبة الحياة - بيروت- لبنان سنة ١٩٧٩م.

* «المسالك والممالك» - مكتبة الحياة - بيروت - لبنان سنة ١٩٧٩م.

٩- الرقيق ، إبراهيم بن القاسم (توفى فى النصف الأول من القرن الخامس الهجرى) .

* «تاريخ إفريقية والمغرب» تحقيق عبدالله العلى الزيدان وعز الدين عمر موسى ، بيروت- دار الغرب الإسلامى - الطبعة الأولى سنة ١٩٩٠م.

* الضبى : أحمد بن يحيى بن عميرة ت ٥٩٩هـ «بغية الملتمس فى تاريخ رجال أهل الأندلس»، تحقيق فرانسيسكو كوديرا- مدريد سنة ١٨٨٤م.

١٠- ابن عبد الحكم ، عبد الرحمن بن عبدالله (٢٥٧هـ) .

* «فتوح مصر والمغرب » تحقيق عبد المنعم عامر- لجنة البيان العربى- القاهرة سنة ١٩٦١م .

١١- ابن عذارى : أبو عبدالله محمد المراكشى «توفى آخر القرن السابع الهجرى» .

* «البيان المغرب فى أخبار الأندلس والمغرب».

تحقيق ، ج. س. كولان، م. ليفى بروفنسال - بيروت - ١٩٨٣م.

الدار العربية للكتاب- - الطبعة الثالثة سنة ١٩٨٣م.

* ابن القوطية: تاريخ افتتاح الأندلس ، الطبعة الأولى، مطبعة التوفيق ، بمصر .

١٢- المقرى، أحمد بن محمد المقرى التلمسانى .

* «نفح الطيب فى غصن الأندلس الرطيب» حققه احسان عباس - دار صادر- بيروت سنة ١٩٦٨م.

١٣- مجهول : أخبار مجموعة فى فتح الأندلس وذكر أمرائها والحروب الواقعة بينهم تحقيق ابراهيم الأبيارى- دار الكتاب المصرى- بيروت - الطبعة الثانية سنة ١٤١٠هـ / ١٩٨٩م.

١٤- الماوردى، على بن محمد بن حبيب (ت ٤٥٠هـ) .

* «الأحكام السلطانية والولايات الدينية » - القاهرة - مطبعة مصطفى البابى الحلبى- الطبعة الثانية سنة ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م.

١٥- المراكشى «عبد الواحد المراكشى ت ٦٤٧هـ».

* «المعجب فى تلخيص أخبار المغرب- تحقيق محمد سعيد العريان - القاهرة - سنة ١٩٦٣م.

ثانيا : المراجع العربية والمعربة

١- إبراهيم طرخان : المسلمون فى فرنسا وإيطاليا مستخرج من حوليات - كلية الآداب- المجلد الثالث والعشرون ج٢ ، سنة ١٩٦١م.

المسلمون فى أوروبا فى العصور الوسطى، الألف كتاب- مؤسسة سجل العرب - القاهرة .

٢- أرشيبالد لويس: القوى البحرية والتجارية فى حوض البحر المتوسط، ترجمة أحمد عيسى - القاهرة سنة ١٩٦٠م.

٣- أرنولد توماس : الدعوة إلى الإسلام- ترجمة د. حسن إبراهيم .

٤- السيد الباز العرينى : تاريخ أوروبا فى العصور الوسطى- دار النهضة العربية- بيروت سنة ١٩٦٨ م.

* انستاس الكرمالى : «الأب» : النقود العربية وعلم النميات - القاهرة سنة ١٩٣٩م .

٥- حسن أحمد محمود : الإسلام فى حوض البحر المتوسط- دار الفكر العربى- القاهرة ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م- الطبعة الأولى.

٦- حسين مؤنس : فجر الأندلس » دراسة فى تاريخ الأندلس من الفتح الإسلامى إلى قيام الدولة الأموية» ٧١١-٧٥٦م» القاهرة سنة ١٩٥٩م- الطبعة الأولى.

٧- جوزيف رينو : الفتوحات الإسلامية فى فرنسا وإيطاليا وسويسرا فى القرن الثامن والتاسع والعاشر الميلادى» - تعريب وتعليق د .

اسماعيل العربى- الطبعة الأولى سنة ١٩٨٤م- دار الحداثة- الجزائر.

٨- دوزى: تاريخ مسلمى أسبانيا - ترجمة حسن حبشى - جمال محرز - مختار العبادى- المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة - القاهرة سنة ١٩٩٦م.

٩- سعيد عبد الفتاح عاشور : «أوربا العصور الوسطى » - الجزء الأول- السياسى- الطبعة الرابعة سنة ١٩٩٦ م .

الجزء الثانى - النظم والحضارة - الطبعة الثانية سنة ١٩٦٣م- دار النهضة العربية.

١٠- شكيب أرسلان : «تاريخ غزوات العرب فى فرنسا وسويسرا وإيطاليا وجزائر البحر المتوسط» مطبعة دار الكتب العلمية - بيروت -لبنان .

١١- عبد الرحمن على الحجى : «تاريخ الأندلس (من الفتح الإسلامى حتى سقوط غرناطة) «دار القلم - دمشق - بيروت - الطبعة الأولى سنة ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م.

١٢- عبد الرحمن فهمى محمد : النقود العربية وماضيها وحاضرها- القاهرة سنة ١٩٦٤م.

١٣- عبد الشافى محمد عبد اللطيف : العالم الإسلامى فى العصر الأموى- الطبعة الثانية- القاهرة ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.

١٤- عبد الفتاح مقلد الغنيمى: «الاسلام والثقافة فى أوربا» - عالم الكتاب- القاهرة سنة ١٩٧٩م.

١٥- كرستوفر دوسن : «تكوين أوربا » - ترجمة د. محمد مصطفى زيادة - مراجعة سعيد عبد الفتاح عاشور - الناشر مؤسسة سجل العرب سنة ١٩٦٧م.

١٦- محمد عبدالله عنان : «دولة الإسلام فى الأندلس» - مؤسسة الخانجى - القاهرة الطبعة الثالثة سنة ١٩٦٠م.

١٧- وليم لانجر : «موسوعة تاريخ العالم» - أشرف على الترجمة محمد مصطفى زيادة- مكتبة دار النهضة المصرية.

١٨- هـ. ل . فيشر : «تاريخ أوروبا العصور الوسطى «نقله إلى العربية محمد مصطفى زيادة- السيد الباز العرينى - دار المعارف - مصر - الطبعة الثالثة سنة ١٣٧٧هـ / ١٩٥٧م.

المراجع الأجنبية

1- Altamira " Rafael " ; :- The Western Caliphate, Cambridge Medieval History . vol .2 Cambridge 1936 .

2- Becker : The expansion of the Saracens in Africa and Europe Cambridge - Medieval History - vol . 2 , Cambridge 1936 .

3- Callaghan "Joseph" : Ahistory of medieval Spain- Cornell University London 1973 .

4- Christian Pfiester : Gaul Under the Merovingion Royalty . Med - Hist Cambridge Medieval History vol . 2 , Cambridge 1936 .

5- Heinrich : Nutgel :- Akatalog der orientalischen mungen- Erster band mit tafeln - Berlin 1898 .

6- Lavisse "E" : Histoire de France illustree depuis les origines Jusque à la revolution, Paris, 1911 .

7- Pirenne " Henri" : Mohammad and Charlemagne, London 1911.

8- Stanley Lane Poole :- Catalogue of Arabic Coins - Preserved in the Khedivial Library at Cairo - London 1897 .

جدول بأسماء الولاة

١- الحُرّ بن عبد الرحمن الثقفى. تولى الحكم شهر ذى الحجة سنة ٩٧هـ / ٧١٦م.

ولايته سنتان وثمانية أشهر أو أقل ، حتى رمضان سنة مائة هجرية.

٢- السَّمْحُ بن مالك الخولانى . تولى الحكم فى شهر رمضان سنة ١٠٠هـ / ٧١٩م.

ولايته سنتان وثلاثة أشهر ، حتى شهر ذى الحجة سنة ١٠٢هـ. أشتشهد جنوبى فرنسا .

٣- عبد الرحمن بن عبدالله الغافقى. (ولايته الأولى) تولى الحكم سنة ١٠٢هـ / ٧٢١م ولايته شهران .

٤- عنبسة بن سحيم الكلبى. تولى الحكم فى شهر صفر سنة ١٠٣هـ/ ٧٢١م .

ولايته أربع سنين وستة أشهر ، حتى شعبان سنة سبع ومائة . استشهد جنوبى فرنسا .

٥- عذرة بن عبدالله الفهرى . تولى الحكم سنة ١٠٧هـ / ٧٢٥م ولاتيه شهران.

٦- يحيى بن سلمة الكبى. تولى الحكم فى شهر شوال سنة ١٠٧هـ / ٧٢٦م.

ولايته سنتان وستة أشهر .

٧- حذيفة بن الأحوص القيسى الأشجعى . تولى الحكم فى شهر

ربيع الأول سنة ١١٠هـ / ٧٢٨ م.

ولايته ستة أشهر أو أكثر.

٨- عثمان بن أبى نسعة الخثعمى. تولى الحكم فى شهر شعبان سنة ١١٠هـ / ٧٢٩م.

ولايته خمسة أشهر .

٩- الهيثم بن عدى عبيد الكلابى (الكنانى) تولى الحكم فى المحرم سنة ١١١هـ / ٧٢٩م ولايته خمسة أشهر أو أكثر .

١٠- عبد الرحمن بن عبد الله الغافقى . (ولايته الثانية) تولى الحكم فى شهر صفر سنة ١١٢هـ / ٧٣٠م- ولايته سنتان وثمانية أشهر حتى رمضان سنة ١١٤هـ أكتوبر ٧٣٢م استشهد فى وقعة بلاط الشهداء.

١١- عبد الملك بن قطن الفهرى . (ولايته الأولى) تولى الحكم حول شهر شوال سنة ١١٤هـ / ٧٣٢ م ولايته سنتان .

١٢- عقبة بن الحجاج السلولى. تولى الحكم فى شهر شوال سنة ١١٦هـ / ٧٣٤م. ولايته خمس سنوات وشهران أو أكثر حتى سنة ١٢١هـ أو حتى شهر صفو سنة ١٢٣هـ. اشتهد خلف جبال ألبرت فى قرقشونة وذلك طبقا لرواية الرازى نقلا عن المقرى(*).

---

* تضاربت الروايات حول مصير عقبة بن الحجاج فصاحب أخبار مجموعة يقول : «وثب عبد الملك بن قطن المحاربى على عقبة بن الحجاج فخلعه ، ولا أدرى اقتله أم أخرجه » ص٣٥ ، وابن عذارى يقول : « وقيل أن أهل الأندلس =

١٣- عبد الملك بن قطن الفهرى. (ولايته الثانية) تولى الحكم فى شهر صفر سنة ١٢٣هـ / ٧٣٤م . ولايته سنة واحدة وشهر واحد.

١٤- عبد الرحمن بن علقمة اللخمى. سنة ١٢٣-١٣٦هـ / ٧٤٠-٧٥٣م .

١٥- محمد بن يوسف بن عبد الرحمن الفهرى سنة ١٣٦-١٣٨ هـ / ٧٥٣-٧٥٥م.

ارسله أبوه يوسف إلى نربونة بعد محاولة عبد الرحمن بن علقمة الاستقلال بها ويبدو أن محمد بن يوسف الفهرى ظل بها منذ وقوعها فى يد بيبن حتى سقوطها سنة ١٤٩هـ / ٧٦٦م.

= ثاروا على عقبة بن الحجاج وخلعوه » ج٢ ص٣٠ ، ولم يذكر ابن عذارى «هل قتل عقبة أم لا » ويؤكد المقرى رواية ابن عذارى فى أنه خلع من الولاية ثم قتل ، ولكن المقرى نقل رواية للرازى أن عقبة استشهد فى قرقشونة أثناء عودته من أربونة . عندما سمع بوصول أول شرارة لثوار البربر فى الأندلس. المقرى: نفح الطيب ج٢ ص٢٣٦ .
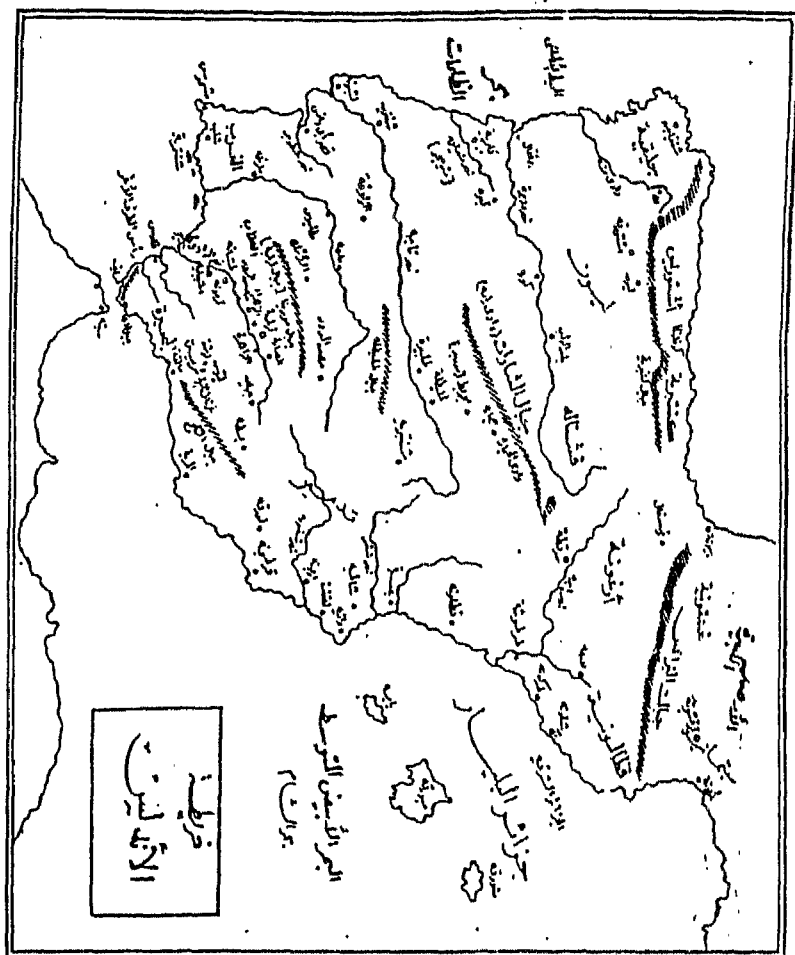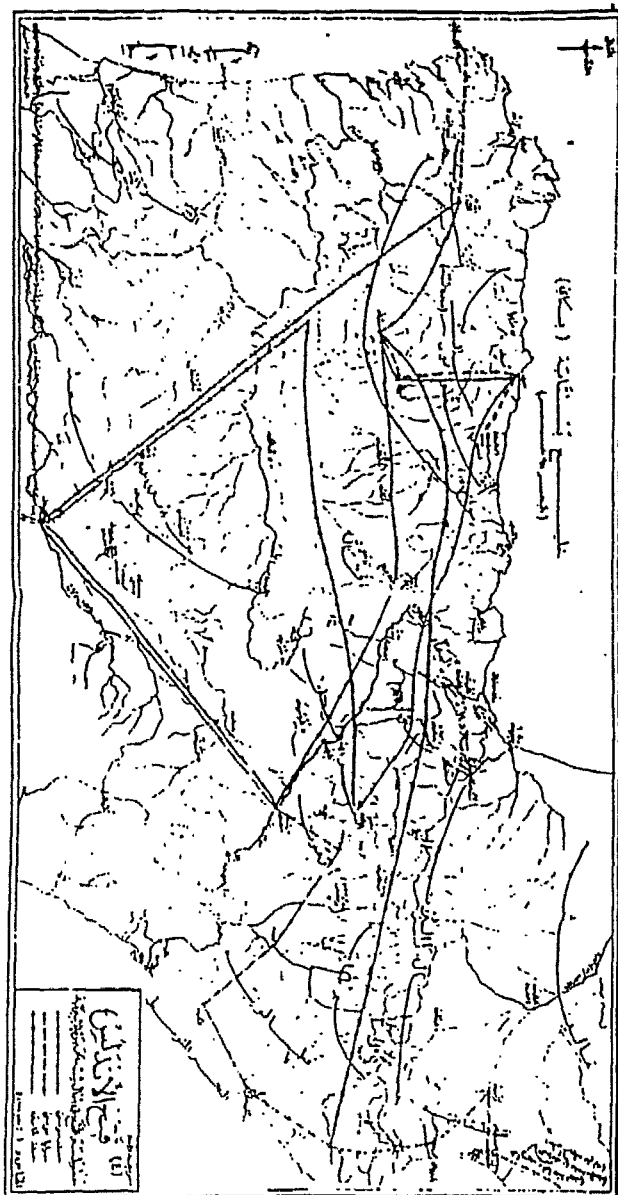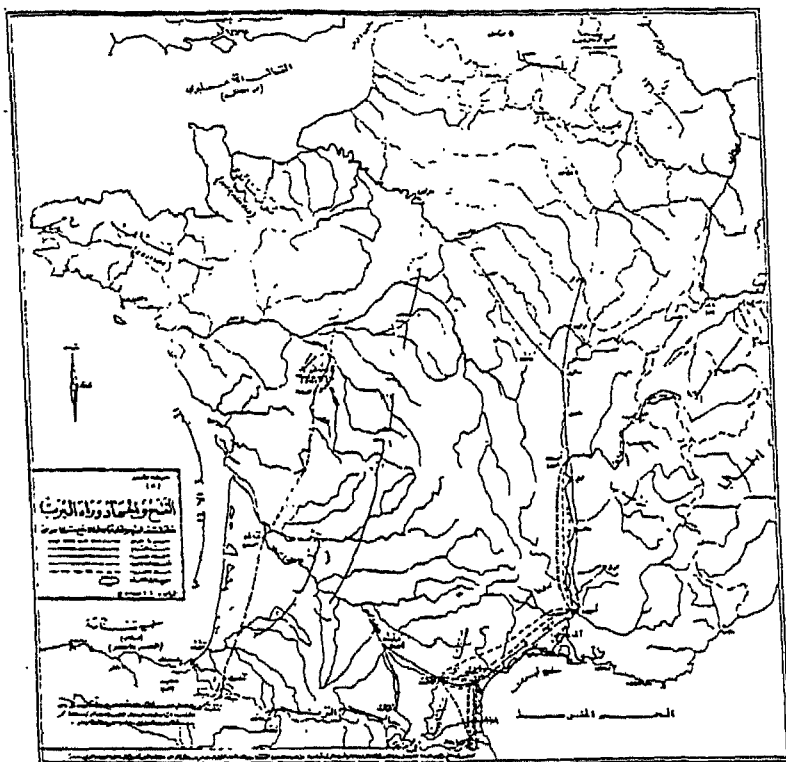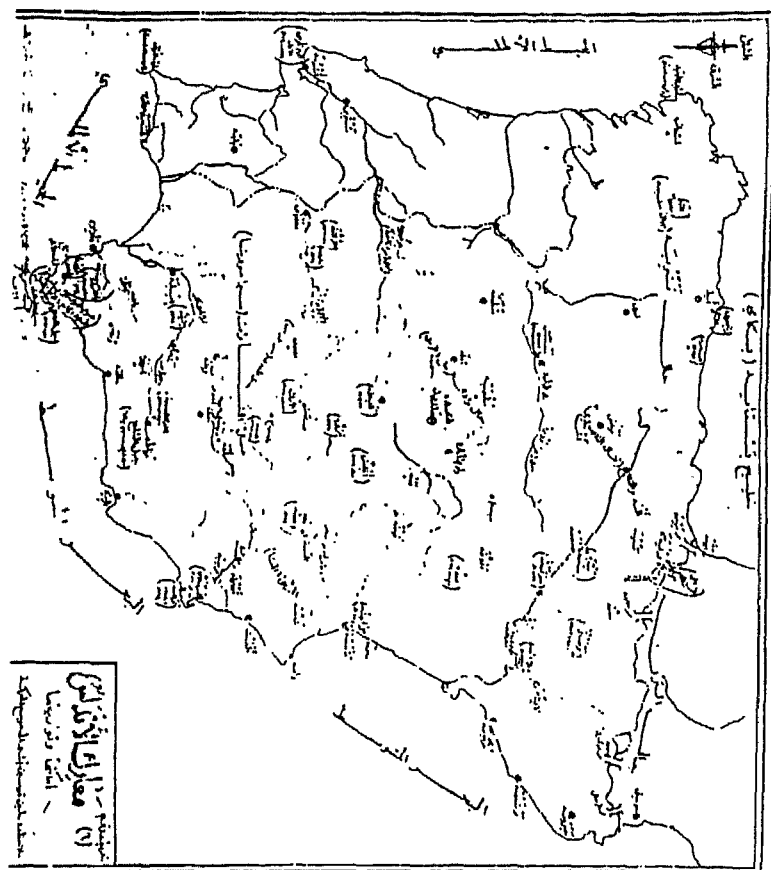
خريطة
الأندلس
البحر الأبيض المتوسط
بحر الشام
جزائر البليار
بحر
الظلمات
قشتالة
أرغونة
قطالونية
جليقية
الغرب

بسم الله الرحمن الرحيم

جمعية
اتحاد المؤرخين العرب
بالقاهرة

مشهرة برقم ١٠٩٢ بتاريخ ١٩٩٢/٣/٢٢

إلى من يهمه الأمر

تقدمت الدكتورة علي حسن أحمد محمود الأستاذ المساعد بكلية الآداب بجامعة القاهرة لاتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة ببحث عنوانه : (قاعدة أربونة ودورها في الجهاد ضد الفرنجة والتوسع في أوربا) وذلك لنشر هذا البحث في مجلة المؤرخ العربي التي يصدرها اتحاد المؤرخين العرب ، وبعرض هذا البحث على بعض الأساتذة المتخصصين لتحكيمه قرروا صلاحية البحث للنشر .

أستاذ دكتور/سعيد عبد الفتاح عاشور
رئيس اتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة
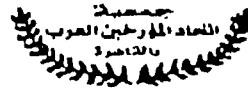
رقم الإيداع ١٣٠٣٠ / ٢٠٠١
الترقيم الدولى I.S.B.N. 977 - 322 - 063 - x
دار روتابرنت للطباعة ت: ٧٩٥٢٣٦٢ - ٧٩٥٠٦٩٤
٥٣ شارع نوبار - باب اللوق